تعليل التسمية
فى
تفسير غريب القرآن
لأبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة
(٢١٣ – ٢٧٦هـ)

إعداد

الدكتور / محمد أحمد صالح كتان

مدرس أصول اللغة

في كلية اللغة العربية بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن البحث عن العلاقة بين اللفظ والمعنى عامة، وبين الاسم والمسمى خاصة من الأمور المهمة حيث إنها توقفنا على أصل اشتقاق كثير من المسميات التي لم نستطع الوصول إلى أصلها الذي اشتقت منه، أو حسم الخلاف فيما وقع فيه خلاف، أو اليقين مما وقع فيه شك.

لذلك عقدت العزم- بعد أن استخرت الله سبحانه – على خوض غمار هذا الجانب الشَّيِّقِ من جوانب الدراسة اللغوية، ووقع اختياري على دراسة هذا الموضوع ﴿**تعليل التسمية**﴾ في كتاب: ﴿**تفسير غريب القرآن لابن قتيبة**﴾ وكان لهذا الاختيار أسباب، منها:

- أن الموضوع يتناول ألفاظ القرآن الكريم التي يطيب لأي باحث أن يعيش في كنفها.
- أردت أن أُسْهِمِ بجهد – ولو متواضع – في تأصيل هذا الموضوع، وإجلائه.
- لأن هذا الموضوع يساعد في معرفة المعنى الذي اشتق منه الاسم، ثم كيفية تحقق هذا المعنى في المسمى، والربط بينهما.

- ولأن موضوع تعليل التسمية يكشف لنا عن الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية عند العرب؛ ذلك أن إطلاق لفظ دون غيره على الشيء، واختيار صفة من صفاته، يدل على نظرتهم إلى الأشياء، واتجاههم في التفكير.
- أن ابن قتيبة يعد من الرعيل الأول من علماء اللغة الذين تعد أفكارهم أفكارًا ذاتية غير منقولة من غيرهم، ولا ترديدا لما قيل.

أما منهج الدراسة الذي يقوم عليه هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الوصفي، إذ هو الأنسب له، فقد قامت الدراسة باستقراء جميع الأسماء التي نَصَّ ابن قتيبة على علة تسميتها بقوله: "سُمِّيَ" أو "سُمِّيَتْ" أو أشار إلى علة تسميتها بلام التعليل، أو بقوله: "لأنه" ونحو ذلك من العبارات التي تُشْعِرُ بعلة التسمية. ثم قمت بتصنيف الأسماء المعلل لها وفق الترتيب المعجمي الألفبائي، ووضعت كل اسم في موضعه من المبحث الذي يندرج تحته، ووَضْعِ الاسم المعلل له على رأس الموضوع، ثم نقل النص الذي فيه التعليل من كتاب ابن قتيبة، ومناقشته وبيان ما فيه، ثم دعم التعليل والمناقشة بآراء العلماء الذين لهم باع في هذا المجال.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ودراسة تشتمل على ستة مباحث، وخاتمة تشتمل على نتائج البحث.

ففي **المقدمة** تحدثت عن أهمية الموضوع، ودوافع اختياري له، ومنهجي في الدراسة.

وجاء **التمهيد** بعنوان: ﴿**تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وتعليل التسمية**﴾ واشتمل على قسمين:

أولًا: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، "المؤلف والكتاب".

ثانيًا: مفهوم تعليل التسمية، وعلاقته بعلم الاشتقاق.

أما الدراسة فقد اشتملت على ستة مباحث، وهي:

المبحث الأول: تعليل التسمية عن طريق النقل.

المبحث الثاني: تعليل التسمية عن طريق الوصف.

المبحث الثالث: تعليل التسمية عن طريق الفعل.

المبحث الرابع: تعليل التسمية عن طريق الوظيفة.

المبحث الخامس: تعليل التسمية عن طريق المجاز، وعلاقة غير المشابهة.

المبحث السادس: تعليل التسمية عن طريق المجاز، وعلاقة المشابهة.

والله أسأل أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم، إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

التمهيـــد

تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وتعليل التسمية

أولًا: غريب القرآن لابن قتيبة " المؤلف والكتاب ":

(أ) المؤلف[1]: هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها، وأقام بالدِّينورِ مدةً قاضياً فنسب إليها.

أساتذته وتلامذته:

حَدَّث ابن قتيبة عن إسحاق بن راهويه، المتوفى سنة ٢٣٨، وقيل سنة ٢٣٠هـ، كما حدَّث عنه أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر الزيادي، وأبي حاتم السجستاني المختلف في سنة وفاته، فقيل توفي سنة ٢٤٨، وقيل ٢٥٠، وقيل ٢٥٤، وقيل ٢٥٥هـ، وروى عنه ابنه أحمد بن عبد الله بن قتيبة، المتوفى سنة ٣٢٢هـ، كما روى عنه ابن دُرستُويه الفارسي، المتوفى سنة ٣٤٧هـ.

مؤلفاته:

ترك ابن قتيبة – رحمه الله – العديد من المصنفات في اللغة، والأدب، والغريب، منها: كتاب "المعارف" (ط) و "أدب الكاتب" (ط)، و "غريب القرآن الكريم" ط، و "غريب الحديث" (ط)، و "عيون الأخبار" (ط) و "مشكل القرآن" (ط) و "تأويل مختلف الحديث" (ط) و "طبقات الشعراء" (ط) و "الأشربة" (ط) و "إصلاح الغلط" و "كتاب التقفية" و "كتاب الخيل" و "كتاب إعراب القراءات" و "كتاب الأنواء" و "كتاب المسائل والجوابات" و " كتاب الميسر والقداح" و "وكتاب المعاني" و "الإمامة والسياسة" (ط) وللعلماء نظر في نسبته إليه، و "الرد على الشعوبية"(ط) و "فضل العرب على العجم"(ط) و "الرحل والمنزل"

(١) هذه المادة مأخوذة من وفيات الأعيان ٤٢/٣ –٤٤، والأعلام للزركلي ١٣٧/٤، والتاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول/٤٧، ومعجم المفسرين ٣٢٧/١، ٣٢٨.

رسالة(ط)، و "الاشتقاق" (خ) و "العرب وعلومها" (خ) و "الألفاظ المغربة، بالألقاب المعربة" (خ).

مولده ووفاته:

كانت ولادته ببغداد، وقيل بالكوفة، سنة ثلاث عشرة ومائتين.

وتوفي ببغداد في ذي القعدة سنة سبعين، وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل أول ليلة في رجب، وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال، وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة سمعت من بُعد ثم أغمي عليه ومات، وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات رحمه الله تعالى.

(ب) الكتاب:

جاء الكتاب في نحو أربعين وخمسمائة صفحة من القطع المتوسط، وهو قسمان:

تناول في **القسم الأول** "اشْتِقَاقُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِه، وَإِظْهَار مَعَانِيهَا" و "تَأْوِيلِ حُرُوفٍ كَثُرَتْ فِي الْكِتَابِ".

وتناول في **القسم الثاني**: غريب القرآن، ذاكرًا اللفظة التي يعتقد غرابة معناها، شارحًا لها، ومبينًا –غالبًا –أوجه الاشتقاق فيها. وقد التزم فيه ترتيبًا بدأه بذكْر أسماء الله الحُسنى، وصفاته العُلا، ومثنيًا بذكر ألفاظ كثر ورودها في القرآن، ثم الحديث عن غريب ما ورد في سور القرآن، بدءً بفاتحة الكتاب وانتهاءً بسورة الناس.

وقد ذكر المؤلف هذا التقسيم فقال: " نَفَتتِحُ كتابَنا هذا بذكْر أسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا، فنُخبِرُ بتأويلهما واشتقاقهما، ونُتْبِعُ ذلك ألفاظا كثر تَرْدادُها في الكتاب لم نر بعض السُّور أولى بها من بعض؛ ثم نبتدئ في

تفسير غريب القرآن، دون تأويل مُشْكله، إذ كنا قد أفْرَدْنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا، بحمد الله"(١).

وقد جاء الكتاب موجزًا إيجازًا غير مُخِلٍّ مؤديًا للغرض الذي سيق من أجله، وعن ذلك يقول المصنف: " وغرضنا الذي امتثَلْناه في كتابنا هذا: أن نختصر ونُكْمل، وأن نوضِّح ونُجْمِلَ؛ وألَّا نستشهدَ على اللفظ المُبْتَذَل، ولا نُكْثِرَ الدِّلالةَ على الحرف المستعمل؛ وألَّا نحشُوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد. فإنَّا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث: لاحتجنا إلى أن نأتِيَ بتفسير السلف – رحمة الله عليهم – بعينه؛ ولو أتَيْنا بتلك الألفاظ كان كتابنا كسائر الكتب التي أَلِفَهَا نَقَلَةُ الحديث؛ ولو تكلَّفْنا بعدُ اقتصاصَ اختلافِهم، وتبيينَ معانيهم، وفتْقَ جُمَلِهم بألفاظنا، وموضعَ الاختيارِ من ذلك الاختلاف، وإقامةَ الدلائل عليه، والإخبارَ عن العلة فيه –: لأسْهبْنا في القول، وأطلنا الكتاب؛ وقطعْنا منه طمعَ المُتحفِّظ، وباعدْناه من بُغْيَة المُتأدِّب؛ وتكلَّفنا من نقل الحديث، ما قد وُقِينَاه وكُفِيناه "(٢).

ثانيًا: مفهوم تعليل التسمية، وعلاقته بعلم الاشتقاق

يقصد بتعليل التسمية: بيان الرابطة التي تربط بين الاسم والمسمى، والسبب الذي بموجبه وضع هذا الاسم، أو المناسبة التي وضع لها، بحيث إذا أُطْلِقَ الاسم تبادر إلى الذهن معناه.

ويعد تعليل التسمية صورة من سور التفسير الاشتقاقي للاسم، وقد اهتم به العرب – قديما– وبدا هذا الاهتمام جليا عند المفسرين، وعند مَنْ كَتَبَ في غريب القرآن، وعند شُرَّاح الحديث، وكذلك مَنْ تناول غريب الحديث، مرورًا بشرح الدواوين، ووصولًا إلى المعاجم اللغوية.

غير أن الحديث عن علل التسمية – مع كثرته – لم يحظ بمؤلف مستقل إلا ما ورد –حسب علمي– عن الأصمعي في كتابه "اشتقاق الأسماء"

(١) تفسير غريب القرآن/٣.
(٢) تفسير غريب القرآن/٣.

وابن دريد في كتابه "الاشتقاق" وكلاهما يدور حول تعليل تسمية القبائل العربية، وبطونها. فيما عدا ذلك أتى الحديث عن علة التسمية عرضًا في ثنايا التفسير وبيان الغريب، ونحو ذلك.

ويعد هذا الموضوع– أعني تعليل التسمية – من الموضوعات المهمة في مجال الدراسة اللغوية؛ لارتباطه بعلم جليل القدر، وهو علم الاشتقاق، ولكون التعليل مؤديًا لدور مهم في تأصيل الألفاظ، ومساعدًا في بيان العلاقة بين الاسم والمسمى، وكيفية ارتباطهما ببعض.

ويعد تعليل التسمية من البحوث الرائدة في مجال فقه اللغة، إذ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوع نشأة اللغة، والخلاف القائم بين القائلين بالتوقيف، حيث يرى هؤلاء أن الأسماء لا تعلل، وبين القائلين بالاصطلاح، الذين يرون تعليل الأسماء؛ لأنها من وضع الواضع.(١)

ومن أهمية هذا الموضوع: أنه يكشف لنا عن الحياة الفكرية والاجتماعية عند العرب، وفي هذا يقول الدكتور محمد المبارك: " ومن هنا كانت الصلة قوية بين مفردات اللغة وعقلية أصحابها وعاداتهم، فالألفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم إلى الأشياء، ذلك أن في تسميتهم لها

باسم بعينه، وفي إطلاق لفظ دون غيره عليه، واختيار صفة من صفاته، ما يدل على اتجاههم في التفكير، وفهمهم للأشياء، ونظرتهم إليها، فاستعمالهم العامل للوالي والحاكم يدل على أنهم فهموا الولاية بعد الإسلام على أنها عمل من الأعمال...وكلمة "العقل" المأخوذة من معنى الربط تدل على أنهم يفهمون العقل زاجرًا عن الشر ويعتبرون فيه الجانب الخلقي لا الجانب الفكري وحده.

ولفظ "المكان" وهو اسم مكان "كان" بمعنى "وجد" يدل على أنهم فهموا المكان على أنه ظرف للوجود...وسمي "الجار" جارًا – من مادة (ج ور) ومعناها: الظلم؛ لأنه يُحْمَي من الجور؛يحميه مَنْ دخل في جواره".(٢)

---

(١) لتأصيل هذه القضية ينظر الخصائص ١/ ٤٠ –٤٧، والصاحبي /١٣–١٤، والمزهر ١/ ١٢ – ٢٤، وفقه اللغة للدكتور. محمد المبارك ص١٨٥–١٨٩.

(٢) فقه اللغة د. محمد المبارك ص٢٠٦، ٣٠٧.

ومما تجدر الإشارة إليه أن علة التسمية قد تكون ظاهرة جلية تدرك للوهلة الأولى، وقد تكون خفية لا تدرك إلا بإمعان نظر وروية، وفي هذا يقول ابن جني: (أسباب التسمية قد تخفى علينا لبعدها في الزمان عنَّا؛ ألا ترى إلى قول سيبويه: " أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"، يعني أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له، ومن أجله ما وقعت عليه التسمية، والآخر –لبعده عن الحال – لم يعرف السبب للتسمية، ألا ترى إلى قولهم للإنسان– إذا رفع صوته–: قد رفع عقيرته. فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع بين معني الصوت وبين معنى " ع ق ر " لبعد عنك، وتعَسَّفْتَ. وأصله: أن رجلًا قُطِعَتْ إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته، فقال الناس: رفع عقيرته)[1].

أما عن علاقة تعليل التسمية بالاشتقاق فهي علاقة العام بالخاص، فالاشتقاق مصطلح عام يراد به أخذ كلمة من أخرى مطلقًا، سواء أكان الأخذ بطريق القياس أو السماع، أما تعليل التسمية فهو اشتقاق ببيان السبب الذي من أجله وضع الاسم. فهو صورة من صور التفسير الاشتقاقي للاسم، فهو إذن علم سماعي لا مجال للقياس فيه.

وقد أطلق أسلافنا – رحمهم الله – مصطلح الاشتقاق مرادًا به تعليل التسمية، وكان من أشهر من فعل ذلك: الأصمعي، في كتابه اشتقاق الأسماء، وابن دريد في كتابه الاشتقاق، وقد اتضح لنا من مطالعتهما أنهما يختصان ببيان علل الأسماء.

والاشتقاق عام يشمل الاشتقاق الجزئي، والاشتقاق الصغير، ودوران المادة حول معنى واحد، ويندرج تحته الاشتقاق بغرض تعليل التسمية.

(١) الخصائص ٦٦/١.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الأول
التسمية بالنقل

السِّفَاحُ

{غَيْرَ مُسَافِحِينَ}[1] (أي: غير زناة. والسفاح: الزنا. وأصله من سَفَحْتَ القربةَ: إذا صببتَها، فسمي الزنا: سفاحا. كما يسمى: مِذَاءً؛ لأنه يسافح، يصب النطفة وتصب المرأة النطفة ويأتي بالمَذْي وتأتي المرأة بالمَذْي)[2].

في هذا النص رادف ابن قتيبة بين الزنا والسفاح، ثم راح يعلل لهذا الترادف فقال: "لأنه يسافح، يصب النطفة وتصب المرأة النطفة". ومعنى يسافح، أي: يريق الماء مضيعًا له لكونه في غير موضعه، ويعد هذا التعليل من باب التسمية بالنقل.

ومما يدل على صحة ما ذكر ما ورد عن ابن فارس حين قال: (السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِرَاقَةِ شَيْءٍ. يُقَالُ سَفَحَ الدَّمَ، إِذَا صَبَّهُ. وَسَفَحَ الدَّمَ: هَرَاقَهُ. وَالسِّفَاحُ: صَبُّ الْمَاءِ بِلَا عَقْدِ نِكَاحٍ، فَهُوَ كَالشَّيْءِ يُسْفَحُ ضَيَاعًا. وَالسَّفَّاحُ: رَجُلٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ، سَفَحَ الْمَاءَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَسُمِّيَ سَفَّاحًا)[3].

ويؤيد تعليل ابن قتيبة ما نقله الأزهري: (قَالَ أَبُو إِسْحَاق: المُسَافِحَةُ: الَّتِي لَا تَمْتَنِعُ عَن الزِّنى، قَالَ: وسُمِّي الزِّنى سِفَاحاً: لِأَنَّهُ كَانَ عَن غير عقد، كَأَنَّهُ بِمَنْزِلَة المَاء المَسْفُوح الَّذِي لَا يَحْبِسُه شَيْء، وَقَالَ غَيره: سُمِّي الزِّنَى سِفَاحًا: لِأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ حُرْمة نِكاحٍ وَلَا عَقْدُ تَزْوِيج، وكل وَاحِد مِنْهُمَا سَفَحَ مَنِيَّه، أَي: دَفقَها بِلَا حُرْمَة أباحَتْ دَفْقَها، وَيُقَال: هُوَ مَأْخُوذ من سَفَحْتُ المَاء أَي

(١) من الآية/٢٤ من سورة النساء، والآية/٥ من سورة التوبة.

(٢) تفسير غريب القرآن/١٢٣.

(٣) مقاييس اللغة: (س ف ح).

صَبَبْتُه، وَكَانَ أهل الْجَاهِلِيَّة إِذا خطب الرجُل المرأَةَ قَالَ: أنكحِينِي، فَإِذا أَرَادَ الزِّنَى قَالَ: سَافِحِينِي)[1] وبمثله قال كثير من اللغويين، والمفسرين)[2].

الأَعْرَافِ

(**{الأَعْرَافِ}** [3]: سور بين الجنة والنار، سُمِّيَ بذلك لارتفاعه وكل مرتفع عند العرب: أعْرَاف قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ ... كالعَلَمِ المُوفِي على الأَعْرَافِ)[4]

يعلل ابن قتيبة بذلك لتسمية الأعراف بهذا الاسم، ويرمز إلى أن التسمية سبيلها النقل، حيث ذكر أن الأعراف سور موصوف بالارتفاع، وعليه فقد نقلت الدلالة من العموم إلى الخصوص.

ويؤكد هذا ما ورد عن أبي عبيدة–عند تفسيره لقول الله تعالى: {وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ} – حيث قال: مجازها: على بناء سور؛ لأن كل مرتفع من الأرض عند العرب: أعراف، قال:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ ... كالعَلَمِ المُوفِي على الأَعْرَافِ

وقال الشّمّاخ:

وظلّت بِأَعْرَافٍ تفالَى كَأَنَّهَا ... رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزِ[5]

---

(١) التهذيب ١٨٩/٤ باب الحاء والسين والفاء.

(٢) ينظر العين ١٤٧/٣، والجمهرة ٥٣٢/١، والكشف والبيان ٢٨٦/٣، وتفسير الراغب الأصفهاني /١١٧٣، والمحرر الوجيز ٣٦/٢، ومفاتيح الغيب ٣٨/١٠ ،٤٤، وتفسير البيضاوي ٦٩/٢، والبحر المحيط ٥٨٩/٣.

(٣) وردت كلمة الأعراف في الآيتين/٤٦، ٤٨ من السورة التي تحمل هذا الاسم، قال تعالى: **{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ}** وقال ﷻ: **{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ}**.

(٤) تفسير غريب القرآن ص١٦٨، والبيت من الرمل دون عزو في مجاز القرآن ٢١٥/١، واللسان (ن و ف).

(٥) البيت من الطويل في ديوانه/٥٣، برواية (وظَلَّتْ تَفَالى باليَفَاعِ كأَنَّها .....).

أي: على نشز)[١] وقال بذلك أيضًا جماعة من اللغويين والمفسرين.[٢]

أما السجستاني – فبعد أن نقل ما ذكره المفسرون – قال: (وَيسْتَعْمل فِي الشّرف وَالْمجد، وَأَصله فِي الْبناء) [٣] فهو يشير إلى أن الكلمة انتقلت دلالتها من المُحَسّ إلى المعقول.

وقد ألمح بعض المفسرين أن للتسمية علة أخرى فنقلوا عن السدي قو له: إنما سمي الأعراف أعرافًا، لأن أصحابه يعرفون الناس)[٤].

وأرى أن التعليل الأول أرجح لأنه هو الأنسب لسياق الآية.

الاعتكاف

(الْعَاكِفِينَ: المقيمين. يقال: عكف على كذا؛ إذا أقام عليه. ومنه قوله: **{وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا}**[٥] ومنه الاعتكاف؛ إنما هو: الإقامة في المساجد على الصلاة والذكر لله) **{وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا}**[٦] أي محبوسًا. يقال: عكفتُه عن كذا؛ إذا حبسته. ومنه: العاكف في المسجد، إنما هو: الذي حبَس نفسه فيه)[٧].

في النصين السابقين وردت كلمتا(الاعتكاف) و(العاكف في المسجد) وقد أتى ابن قتيبة بالكلمة الأولى في معرض تفسيره للفظةَ الْعَاكِفِينَ، التي فسرها بالمقيمين، وفسر الاعتكاف بأنه: الإقامة في المساجد على الصلاة

(١) مجاز القرآن ٢١٥/١.
(٢) ينظر التهذيب ٢٠٨/٢، ٢٠٩، والمحكم ١١٢/٢ باب العين والراء مع الفاء، وجامع البيان للطبري ٤٤٩/١٢، ٤٥٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٢/٢، والكشف والبيان ٢٣٥/٤، وغريب القرآن للسجستاني/٥٨، ٥٩، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.
(٣) غريب القرآن للسجستاني/٥٩.
(٤) جامع البيان للطبري ٤٥٠/١٢، والكشف والبيان ٢٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.
(٥) طه/٩٧.
(٦) الفتح/٢٥.
(٧) تفسير غريب القرآن ص٦٣ وص٤١٣.

والذكر لله. وأتى بالثانية في معرض تفسيره لقوله تعالى: {وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا} وفسرها (محبوسًا). وفسر "العاكف في المسجد" بالذي حبَس نفسه فيه. وعليه فالكلمة عنده لها مدلولان: (الإقامة) و(الحبس) غير أن اللفظين يجمعهما أمر واحد، فالمقيم على شيء حابس نفسه عليه وهو ما نستنتجه من نَصَّيْهِ السابقين. وعلى هذا فَعِلَّةُ التسمية عنده تكمن في النقل من الإقامة والحبس إلى التعبد.

ومما يدل على صحة ما ذهب إليه ابن قتيبة ويؤكد كلامه قول ابن فارس: (الْعَيْنُ وَالْكَافُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَابَلَةٍ وَحَبْسٍ، يُقَالُ: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكِفُ عُكُوفًا، وَذَلِكَ إِقْبَالُكَ عَلَى الشَّيْءِ لَا تَنْصَرِفُ عَنْهُ. قَالَ:

فَهُنَّ يَعْكُفْنَ بِهِ إِذَا حَجَا ... عَكَفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنْزَجَا(١)

وَيُقَالُ عَكَفَتِ الطَّيْرُ بِالْقَتِيلِ. قَالَ عَمْرٌو:

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ ... مُقَلَّدَةً أَعِنَّتُهَا صُفُونَا(٢)

وَالْعَاكِفُ: الْمُعْتَكِفُ. وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُمْ لِلنَّظْمِ إِذَا نُظِمَ فِيهِ الْجَوْهَرُ: عُكِّفَ تَعْكِيفًا. قَالَ:

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْ ... كُ بِعِطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ(٣)

وَالْمَعْكُوفُ: الْمَحْبُوسُ. قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ: مَا عَكَفَكَ مِنْ كَذَا، أَيْ مَا حَبَسَكَ. قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى –: {وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ})(٤).

---

(١) من الرجز للعجاج في العين ٢٠٥/١، والصحاح (ع ك ف)،والمحكم ٢٨٢/١واللسان (ع ك ف) و(ح ج ا).

(٢) بيت من الوافر لعمرو بن كلثوم في جمهرة أشعار العرب /٢١، ٢٨١ وشرح المعلقات التسع /٣١٨.

(٣) بيت من الخفيف عزاه الأزهري للأعشى [تهذيب اللغة ٢٠٩/١].

(٤) المقاييس (ع ك ف).

وعن الطبري: (إنما قيل للمعتكف: معتكف، من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه نفسه لله تعالى)[١].

الغائط

(الْغَائِطِ: الحدث. وأصل الغائط: المطمئن من الأرض. وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوا غائطا من الأرض فَفَعَلوا ذلك فيه. فكنى عن الحدث بالغائط)[٢] يرمز ابن قتيبة في هذا النص إلى علة تسمية (الحدث) غائطًا، وهو من باب التسمية بالنقل.

وأصل الغائط: المطمئن من الأرض. فانتقلت الدلالة من المكان إلى الحدث على سبيل الكناية تعففًا عن ذكر الحدث، وتوسيعًا في الدلالة.

ومما يدل على صحة ما ذهب إليه ابن قتيبة قول أبي عبيد: (كَانَ الْكسَائي يَقُول: إِنَّمَا سمي الْغَائِط غائطًا لِأَن أحدهم كَانَ إِذا أَرَادَ قَضَاء الْحَاجة قَالَ: حَتَّى آتِي الْغَائِط فأقضي حَاجَتي وَإِنَّمَا أصل الْغَائِط المطمئن من الأَرْض، قَالَ: فَكثر ذَلِك فِي كَلَامهم حَتَّى سموا غَائِط الْإِنْسَان بذلك)[٣] وبمثله قال الخليل، والفراء، وأبو عبيدة، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، وأبو بكر السجستاني، وكراع، والقالي، وابن دريد، والأنباري، والجوهري، وغيرهم)[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٤١/٢ وينظر العين ٢٠٥/١ ،٢٠٦، والجمهرة ٢٠٩/١، والتهذيب ٢٠٩/١، والمحكم ٢٨٣/١ باب العين والكاف مع الفاء، والصحاح (ع ك ف)، والمفردات/٥٧٩، والمصباح المنير (ع ك ف).

(٢) تفسير غريب القرآن/١٢٧.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد١٥٦/١.

(٤) العين ٩٦/٢باب العين والذال مع الراء، ومعاني القرآن للفراء ٣٠٣/١، ومجاز القرآن ١٢٨/١، ١٥٥/١. وإصلاح المنطق/٢٢٤ ،٢٢٥، والفرق لأبي حاتم السجستاني/٢٤٢، وغريب القرآن لأبي بكر السجستاني /٣٤٩، والمنتخب من كلام العرب/٦٢، ٦٣، ٦٤٥، والبارع/٢٣١ باب الخاء والراء من الثلاثي المعتل، و٤٢٣ باب الغين والطاء من الثلاثي المعتل، والجمهرة ١٠٧٩/٢(ط غ و)، والزاهر في معاني كلمات الناس ٤٢/١، والصحاح ١١٤٧/٣ (غ و ط) وينظر تفسير الطبري ٣٥٤/٥، ٨٣/١٠ والكشف والبيان ٣١٤/٣ وتفسير البغوي ٦٣١/١ والمحرر الوجيز ٥٨/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٥ وأنوار التنزيل ٧٦/٢، والبحر المحيط ٦٤٢/٣، والدر المصون ٦٩١/٣.

القفو

{وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ}[1] (أي: أتْبَعْناه بهم وأرْدَفْنَاه إيَّاهم، وهو من القفا مأخوذ. ومنه يقال: قَفَوْتُ الرجلَ: إذا سرت في أثره)[2].

يحاول ابن قتيبة في هذا النص أن يربط بين الفعل (قَفَّى) ومدلوله (اتْبَعَ) فقال: هو من القفا مأخوذ. ومن المعلوم أن القفا: مؤخر العنق من الإنسان، فكأنه يتبعه. وفي هذا إشارة إلى أن علة التسمية طريقها النقل، كأن مجيء الرسل إثر بعض كان في قفاهم وذهابهم. (واشتقاقُه من قَفَوْتُه إذا اتَّبَعْتَ قَفاه، ثم اتُّسع فيه، فَأُطْلِقَ على كلِّ تابع، وإن بَعُدَ زمانُ التابعِ من زمانِ المَتْبوع)[3].

وقد ورد عن أصحاب المعاجم ما يدل على صحة ما ذكر ابن قتيبة، ويؤكد كلامه، يقول الخليل: (القَفْوُ: مصدر قولك: قفا يَقْفُو، وهو أن يتبع شيئاً، وقَفَوْتُه أَقْفُوه قَفْواً، وَتَقَفَّيْتُه، أي: اتبعته. قال الله ﷻ: {وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ})[4].

وقال الجوهري: (قَفَوْتُ أثره قَفْواً وقُفُوًّا، أي اتَّبعته. وقَفَيْتُ على أثره بفلان، أي أتبعته إيَّاه. قال تعالى: (ثمَّ قَفَّيْنا على آثارِهِم برسُلِنا)[5] ومنه الكلام المُقَفَّى. ومنه سمِّيت قوافي الشعر لأنَّ بعضها يتبع أثر بعض)[6].

---

(١) البقرة/٨٧.

(٢) تفسير غريب القرآن/ ٥٧.

(٣) الدر المصون ١/٤٩٣.

(٤) العين ٥/٢٢١ باب القاف والفاء من الثلاثي المعتل، والآية من سورة الإسراء رقم/٣٦.

(٥) الحديد/٢٧.

(٦) الصحاح ٦/٢٤٦٦(ق ف و) وينظر معاني القرآن للفراء ٢/١٢٣، ١٢٤، والجمهرة ٢/١٠٨٢، وغريب القرآن للسجستاني /٣٧٢، ومقاييس اللغة (ق ف ى)، والكشف والبيان ٦/٩٩، والمحرر الوجيز ٢/ ١٩٨ و٣/٤٥٦و٥/٢٧٠، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٥٨، والدر المصون ١/.٤٩٣

الكتاب – القرآن

(سمى الله القرآن كِتَابًا، فقال: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ}[1] وقال: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ}[2].

والكتاب فِعْلُ الكاتب. تقول: كتب كتابًا، كما تقول: حَجَبَ حِجابا وقام قياما وصام صياما. وقد يُسمَّى الشيء بفعل الفاعل، يقال: هذا درهم ضَرْبُ الأمير، وإنما هو مضروب الأمير، وتقول: هؤلاء خلق الله. لجماعة الناس، وإنما هم مخلوقو الله)[3].

يشير ابن قتيبة في هذا النص إلى المناسبة بين القرآن والكتاب حيث سمي القرآن كتابا، فالقرآن جمع للسور والآيات، والكتاب جمع للجمل والعبارات، فالعلاقة بينهما هي المشابهة، والتسمية جاءت عن طريق النقل، حيث نُقِلَت لفظة الكتاب للدلالة على القرآن، لأنه الكتاب الحق.

وقد اتفق كثير من المفسرين مع ما ذكره ابن قتيبة فقد ورد عنهم: قوله: ذلِكَ الْكِتابُ أَيْ: هَذَا الْكِتَابُ وَهُوَ الْقُرْآنُ[4] (لفظ الْكِتابُ مأخوذ من «كتبت الشيء» إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة)[5] (الْكِتابُ: القرآن. وسمي كتاباً، لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه الكتيبة، سميت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض. ومنه: كتبت البغلة)[6] (قَالَ الْكِسَائِيُّ:" ذلِكَ" إِشَارَةٌ إِلَى الْقُرْآنِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَانَ وَعَدَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) البقرة/٢.
(٢) إبراهيم/١.
(٣) تفسير غريب القرآن ص٣٦، ٣٧.
(٤) تفسير البغوي ١/٨١.
(٥) المحرر الوجيز ١/٨٣.
(٦) زاد المسير ١/٢٧.

ﷺ كِتَابًا، فَالْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ الْوَعْدِ. قَالَ الْمُبَرِّدُ: الْمَعْنَى هَذَا الْقُرْآنُ ذَلِكَ الْكِتَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا....

الْكِتَابُ مَصْدَرٌ مِنْ كَتَبَ يَكْتُبُ إِذَا جَمَعَ، وَمِنْهُ قِيلَ: كَتِيبَةٌ، لِاجْتِمَاعِهَا. وَتَكَتَّبَتِ الْخَيْلُ صَارَتْ كَتَائِبَ. وَكَتَبْتُ الْبَغْلَةَ: إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ شُفْرَيْ رَحِمِهَا بِحَلْقَةٍ أَوْ سَيْرٍ، قَالَ:

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا حَلَلْتَ بِهِ ... عَلَى قَلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ(١)

وَالْكُتْبَةُ (بِضَمِّ الْكَافِ): الْخُرْزَةُ، وَالْجَمْعُ كُتَبٌ. وَالْكُتْبُ: الْخُرْزُ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

وَفْرَاءُ غَرْفِيَّةٌ أَثَأَى خَوَارِزُهَا ... مُشَلْشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا الْكُتَبُ(٢)

وَالْكِتَابُ: هُوَ خَطُّ الْكَاتِبِ حُرُوفَ الْمُعْجَمِ مَجْمُوعَةً أَوْ مُتَفَرَّقَةً، وَسُمِّيَ كِتَابًا وَإِنْ كَانَ مَكْتُوبًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفِيهَا ... كِتَابٌ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ(٣)

(المراد به الكتاب الموعود إنزاله بنحو قوله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} (٤). أو في الكتب المتقدمة. وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة. وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس، ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لأنه مما يكتب. وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة)(٥) أما المعجميون فقد ذكروا معنى (كتب والكتاب) على النحو التالي: الكَتْبُ: خرز الشيء بسير، والكُتْبةُ: الخرزة التي ضم السير كلا وجهيها. والناقة إذا ظئرت على ولد غيرها كُتِبَ منخراها بخيط لئلا تشم البو، والرأم. قال ذو الرمة:

وَفْرَاءُ غَرْفِيَّةٌ أَثَأَى خَوَارِزُهَا ... مُشَلْشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا الْكُتَبُ

والكَتْبُ: الخرزُ بسيرين، قال:

---

(١) بيت من البسيط دون عزو في مقاييس اللغة (ك ت ب).

(٢) بيت من البسيط في ديوانه ص١١.

(٣) القرطبي ١٥٨/١، ١٥٩ والبيت من الوافر دون عزو في الدر المصون ٨٥/١.

(٤) المزمل/٥.

(٥) تفسير البيضاوي ٣٦/١.

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا حَلَلْتَ بِهِ ... عَلَى قَلُوصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ

والكتاب والكتابة: مصدر كتبت. والمُكْتِبُ: المعلم. والكتاب: مجمع صبيانه.

والكَتيبةُ من الخيل: جماعة مستحيزة. والكِتْبة: الاكتتاب في الفرض والرزق، واكْتَتَبَ فلان، أي: كَتَب اسمه في الفرض. والكتِبةُ: اكتتابُك كتاباً تكتبه وتنسخه) (وَقد كتب الْكتاب يَكْتُبهُ كتبا إِذا جمع حُرُوفه. وأصل الْكتب ضمك الشَّيْء إِلَى الشَّيْء. وكتبت المزادة وَغَيرهَا أَكتبهَا كتبا إِذا خرزتها. والخرزة: الكتبة وَالْجمع الْكتب..وكتبت الكتيبة إِذا ضممت بعض أَهلهَا إِلَى بعض)[1].

المنافق

(النِّفَاق: في اللغة مأخوذ من نافِقاء اليَرْبُوعِ وهو: جُحْر من جِحَرتِه، يخرج منه إذا أخذ عليه الجُحْر الذي دخل فيه. فيقال: قد نَفَقَ ونافَق، شبّه بفعل اليربوع؛ لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد)[2].

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى الربط بين اللفظ (النفاق) والمعنى الدال عليه وهو: (المراوغة وإخفاء مكنونات النفس) وهو كما ذكر مأخوذ من فعل اليربوع الذي يتخفى عن أعين المطاردين فيدخل نفقه من باب ليهرب من باب آخر، والعلاقة بينهما -كما ألمح -هي المشابهة، فَعِلَّة تسمية المنافق بهذا الاسم لشبهه باليربوع، فالمنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وكذلك اليربوع يظهر الدخول للجحر ويخفي الهروب.

وقد أَكَّدَ هذا التعليل كثيرون، يقول أبو عبيد: (إِنَّمَا سمي الْمُنَافِق منافقًا؛ لِأَنَّهُ نَافق كاليربوع وَإِنَّمَا هُوَ دُخُوله نافقاءه يُقَال مِنْهُ: قد نفق فِيهِ ونافق

(١) العين ٣٤١/٥، والجمهرة ٢٥٥/١، وينظر التهذيب ٨٧/١٠، والصحاح، والمقاييس (ب ت ك).

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٩.

وَهُوَ جُحْره وَله جُحر آخر يُقَال لَهُ: القاصعاء فَإِذا طلب قصع فَخرج من القاصعاء وَهُوَ يدْخل فِي النافقاء وَيخرج من القاصعاء أَو يدْخل فِي القاصعاء وَيخرج من النافقاء فَيُقَال: هَكَذَا يفعل الْمُنَافِق يدْخل فِي الْإِسْلَام ثمَّ يخرج مِنْهُ من غير الْوَجْه الَّذِي دخل فِيهِ... وَقد يُقَال فِي الْمُنَافِق: إِنَّمَا سمي منافقا للنفق: وَهُوَ السرب فِي الأَرْض وَالتَّفْسِير الأول أعجب إِلَيّ)[1].

كما أشار إلى ذلك الرازي فقال: (النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ، وَمِنْهُ نَافِقَاءُ الْيَرْبُوعِ لِأَنَّ الْيَرْبُوعَ يَثْقُبُ الْأَرْضَ إلى القعر، ثم يصعد من ذلك القعر إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَكَأَنَّهُ يَنْفُقُ الْأَرْضَ نَفْقًا، أَيْ يَجْعَلُ لَهُ مَنْفَذًا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ. وَمِنْهُ أَيْضًا سُمِّيَ الْمُنَافِقُ مُنَافِقًا لِأَنَّهُ يُضْمِرُ غَيْرَ مَا يُظْهِرُ كَالنَّافِقَاءِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الْيَرْبُوعُ)[2] وبمثله قال الزجاج، وابن دريد، والنحاس، والقالي، والأزهري، والجوهري، والثعلبي، الرازي، وابن منظور)[3].

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ١٣/٣، ١٤.

(٢) تفسير الرازي ٥٢٠/١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٤/٢، والجمهرة ٩٦٧/٢، ومعاني القرآن للنحاس ٢٢٤/٢، والبارع /٦٩١والتهذيب ١٥٦/٨، الصحاح (ن ف ق)، والكشف والبيان ٢٨٣/٩، ٢٨٤، ولسان العرب (ن ف ق).

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الثاني
التسمية بالصفة

الآزِفَةِ

(الآزِفَةِ: القيامة. سميتْ بذلك: لقربها. يقال: أزِفَتْ فهي آزفة؛ وأزف شخوص فلان، أي: قرُب)[1].

في هذا النص يعلل لتسمية القيامة بالآزفة، وهو قرب الحدوث، وتكمن المناسبة بين الاسم (الآزفة) والمسمى (القيامة) في الصفة وهي قرب الوقوع، حيث اشتق من الفعل (أزف) ومعناه: قَرُبَ، وصفًا (آزفة) وسمي به. وقد (جاء في التفسير. وإنما قيل لها آزفة، لأنها قريبة وإن اسْتَبْعَدَ الناس مَدَاها. يقال قد أزِفَ الأمْرُ: إذَا قَرُبَ)[2] (إذ كل ما هو آت قريب. قال النابغة:

أزف الترحل غير أن ركابنا ... لمّا تزل برحالنا وكأن قد)[3]

وقد ذكر ابن فارس أن (الْهَمْزَةَ وَالزَّايَ وَالْفَاءَ يَدُلُّ عَلَى الدُّنُوِّ وَالْمُقَارَبَةِ، يُقَالُ: أَزِفَ الرَّحِيلُ: إِذَا اقْتَرَبَ وَدَنَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ}[4] يَعْنِي الْقِيَامَةَ. فَأَمَّا الْمُتَآزِفُ فَمِنْ هَذَا الْقِيَاسِ، يُقَالُ: رَجُلٌ مُتَآزِفٌ، أَيْ: قَصِيرٌ مُتَقَارِبُ الْخَلْقِ. قَالَتْ أُمُّ يَزِيدَ بْنِ الطَّثْرِيَّةِ:

فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لَا مُتَآزِفٌ ... وَلَا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَبَآدِلُهُ)[5]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٣٨٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٩/٤.

(٣) ينظر مجالس ثعلب/٤٥٧، والكشف والبيان ٢٧٠/٨ والكشاف ١٥٧/٤والبغوي١٠٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/١٥ وغريب القرآن للسجستاني/٨٢ والمفردات /٧٥ والبيت في ديوانه /٤١ وهو من الكامل.

(٤) النجم/٥٧.

(٥) مقاييس اللغة (أ ز ف) والبيت من الكامل عزاه أبو عبيد للعجيز السلولي (الغريب المصنف) وكذلك في تاج العروس (أ ز ف – ر هـ ل)عزاه الجوهري لأخت يزيد بن الطثرية (الصحاح) وعزاه ابن منظور للعجيز في موضعين (أ ز ف – ب أ د ل) ولأخت يزيد في (ر هـ ل).

الإصر

{وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي}[1] (أي: عَهْدي. وأصل الإصْر: الثِّقْل. فسمّي العهدُ إصرًا: لأنه يمنع من الأمر الذي أُخِذَ له وثُقِّل وشُدِّد)[2].

رادف ابن قتيبة بين الإصر والعهد وعلل لتسمية العهد إصرًا، فذكر أن الكلمتين تشتركان في الوصف وهو الثقل. وعليه فعلة التسمية تكمن في الوصف.

وذكر الخليل المعنى الجامع بين الاسمين مما يشير إلى تعليل تسمية العهد بالإصر فقال: الإصرُ: الثِّقْل. والأصْرُ: الحَبسُ: وهو أن يَحبِسوا أموالَهم بأَفْنيتِهم فلا يَرعَونَها لأنَّهم لا يجدون مَرْعىً، وكذلك الأَصْرُ، يأصِرونَها ولا يُسَرِّحونَها؛ وهذا لشِدّةِ الزَّمان.... وكلُّ شيءٍ عَطَفتَه على شيءٍ فهو: آصِرٌ، من عَهدٍ أو رَحِمٍ، فقد أَصُرْتَ عليه وأَصَرْتَه)[3].

كما ألمح ابن فارس لما بين الاسمين من اشتراك في الدلالة فقال: (الْهَمْزَةُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ، أَصْلٌ وَاحِدٌ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ أَشْيَاءُ مُتَقَارِبَةٌ. فَالْأَصْرُ: الْحَبْسُ وَالْعَطْفُ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا. وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَهْدَ يُقَالُ لَهُ: إِصْرٌ، وَالْقَرَابَةُ تُسَمَّى آصِرَةٌ، وَكُلُّ عَقْدٍ وَقَرَابَةٍ وَعَهْدٍ إِصْرٌ. وَالْبَابُ كُلُّهُ وَاحِدٌ)[4].

الإفْكُ

(الإفْكُ: الكذب؛ لأنه كلام قُلِبَ عن الحق. وأصله من أَفَكْتُ الرجلَ: إذا صرفته عن رأي كان عليه)[5].

هذا النص يشير فيه ابن قتيبة إلى العلاقة بين لفظة (إفك) ومدلولها (الكذب) فالْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ

(١) آل عمران/٨١.
(٢) تفسير غريب القرآن ص١٠٧ وينظر غريب الحديث له –أيضًا–٢/٥٠٩.
(٣) العين ٧/١٤٧باب الصاد والراء من الثلاثي المعتل وينظر مجاز القرآن ١/٨٤.
(٤) مقاييس اللغة: (أ ص ر).
(٥) تفسير غريب القرآن ص٣٠.

جِهَتِهِ. وكذلك الكذب هو قلب للكلام عن الحق، والكاذب يصرف الناس عن آرائهم. فابن قتيبة بهذا يلمح إلى العلاقة بين اللفظ ومدلوله، ومن ثَمَّ علة تسمية الكاذب أفاكًا، وهي المشاركة في الوصف، وهو: القلب والصرف.

وقد ذكر ذلك الخليل وغيره من اللغويين، فقال الخليل: (أفك: الإفكُ: الكذب. أفك يأفك أفكاً.

وأَفَكْته عن الأمر: صرفته عنه بالكذب والباطل. والأفيك: المكذب عن حيلته وحزمه، ... والأَفّاكُ: الذي يأفِك الناس عن الحق، أي: يصدهم عنه بالكذب والباطل)[1].

وفي التهذيب :(ثَعْلَب عَن ابْن الْأَعرَابِي: أَفَكَ يَأْفِكُ، وأَفِكَ يأْفَكُ إِذا كذبَ، والإِفْكُ: الإِثْمُ)[2]

وذهب ابن فارس إلى أن (الْهَمْزَةَ وَالْفَاءَ وَالْكَافَ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ. يُقَالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ. وَأَفِكَ الرَّجُلُ: إِذَا كَذَبَ. وَالْإِفْكُ الْكَذِبُ. وَأَفَكْتُ الرَّجُلَ عَنِ الشَّيْءِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا}[3]. وَقَالَ شَاعِرٌ:

إِنْ تَكُ عَنْ أَفْضَلِ الْخَلِيفَةِ مَأْ ... فُوكًا فَفِي آخَرِينَ قَدْ أُفِكُوا

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ: الرِّيَاحُ الَّتِي تَخْتَلِفُ مَهَابُّهَا. يَقُولُونَ:" إِذَا كَثُرَتِ الْمُؤْتَفِكَاتُ زَكَتِ الْأَرْضُ)[4].

الإنس

سُمي {الإنس} إنسا: لظهورهم، وإدراكِ البصر إياهم. وهو من قولك: آنستُ كذا؛ أي: أبصرتُه.

---

(١) العين ٤١٦/٥.

(٢) تهذيب اللغة ٢١٥/١٠.

(٣) الأحقاف /٢٢.

(٤) مقاييس اللغة (أ ف ك).

قال الله جل ثناؤه: {إِنِّي آنَسْتُ نَارًا} [1] أي: أبصرت[2] والإنس: هم بنو آدم.

في النص السابق يعلل ابن قتيبة لتسمية البشر بهذا الاسم، فهو يرى أن العلاقة بين الاسم والمسمى تكمن في الصفة، فعالم البشر يتصف بأنه يُرَى، بخلاف عالم الجن الذي من شأنه الاستتار والاختفاء عن الأعين، فمن هنا سمي البشر إنسا لانكشافهم وظهورهم.

وبمثل هذا التعليل علل آخرون فقد قَالَ الأَزهري: (أصلُ الْإِنْس والأَنَس وَالْإِنْسَان: من الإيناس وَهُوَ الإبصار، يُقَال: أَنَسْتُهُ وأَنِسْتُه: أَي: أَبْصَرْته)[3] وعن ابن فارس: (الْهَمْزَةُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ ظُهُورُ الشَّيْءِ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَالَفَ طَرِيقَةَ التَّوَحُّشِ. قَالُوا: الْإِنْسُ خِلَافُ الْجِنِّ، وَسُمُّوا لِظُهُورِهِمْ. يُقَالُ: آنَسْتُ الشَّيْءَ: إِذَا رَأَيْتُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا}[4].

ويقول السيوطي: (الإنس من الظهور، يقولون: آنَسْتُ الشيء: أبْصَرْتُه)[5] وعن الزبيدي: (سُمِّيَ الإنسِيُّونَ لأَنَّهم يُؤْنَسُونَ، أَي: يُرَوْنَ)[6] وعلى هذا يتبين لنا صحة ما ذكره ابن قتيبة.

إبليس

(١) جزء من الآية/١٠ من سورة طه، ومن الآية/٧ من سورة النمل، ومن الآية/٢٩ من سورة القصص.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢١.

(٣) تهذيب اللغة ٦١/١٣ (باب السين والنون)

(٤) مقاييس اللغة: (أ ن س) والآية من سورة النساء رقم/٦.

(٥) المزهر ٢٧٤/١.

(٦) تاج العروس: (أ ن س).

(إبلـيس) فيـه قـولان: قـال أبـو عبيـدة: هـو اسـم أعجمـي ولـذلك لا يصرف. وقال غيره: هو "إفْعِيل" من أبْلَسَ الرجل إذا يَئِسَ. قال الله جل ثناؤه: {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}(١) أي: يائسون.

كذلك قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه، قال: ولما لعنه الله وغضب عليه أبْلَس من رحمته أي: يئس منها فسماه الله ﷻ إبليس. وكان اسمه عَزَازِيل)(٢).

يشير ابن قتيبة في القول الثاني من قوليه اللذين أوردهما إلى علة تسمية إبليس بهذا الاسم، فيرى أنه سُمِّي بإبليس ليأسه وقنوطه من رحمة ربه؛ حيث إن الإبلاس يعني القنوط، فهو من باب التسمية بالصفة.

وقد سبق الخليلُ ابن قتيبة في ذلك فقال: (سُمِّي إبليسَ لأنَّه أُبلِسَ من الخَيْر أي أُوِيسَ)(٣) أما ابن دريد فنقل التعليل وتَحَرَّجَ منه فقال: (أبلس الرجل إبلاسا فَهُوَ مبلس إِذا يئس. وَزعم قوم من أهل اللُّغَة أَن اشتقاق إِبْلِيس من الإبلاس كَأَنَّهُ أبلس أَي يئس من رَحْمَة الله وَالله أعلم)(٤) ويؤكد ابن فارس هذا التعليل فيقول:(الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَمَا بَعْدَهُ فَلَا مُعَوَّلَ عَلَيْهِ. فالْأَصْلُ الْيَأْسُ، يُقَالُ أَبْلَسَ إِذَا يَئِسَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}، قَالُوا: وَمِنْ ذَلِكَ اشْتُقَّ اسْمُ إِبْلِيسَ، كَأَنَّهُ يَئِسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)(٥).

الثقلان

(١) الأنعام/٤٤.
(٢) تفسير غريب القرآن/٢٣.
(٣) العين ٢٦٢/٧.
(٤) الجمهرة ٣٤٠/١.
(٥) المقاييس (ب ل س).

(الثقلان، يعني: الجن والإنس. سميا بذلك؛ لأنهما ثِقْل الأرض، إذ كانت تحملهم أحياء وأمواتا. ومنه قول الله: {وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}[1] أي: موتاها)[2].

هذا النص يشير إلى علة تسمية الجن والإنس بالثقلين، وهذه العلة مردها إلى الوصف، وهو الثقل وقد اتفق مع ابن قتيبة في تعليله جمع من اللغويين والمفسرين، فها هو ذا أبو بكر الأنباري يقول: (الثقلان: الجن والإنس. وإنما قيل لهما ثقلان؛ لأنهما كالثقل للأرض وعليها)[3].

ويقول الأزهري: (أصل الثَّقَل: أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثَقَل، وأصلُه فِي بَيض النعام المَصُون. وَقَالَ ثَعْلَبَة بن صُعَيْر المازنيّ يَذكر الظَّليم والنعامة:

فتَذكَّرا ثَقَلاً رئيداً بَعدَما ... ألقَتْ ذُكاءُ يَمينها فِي كافِرِ[4]

وَيُقَال للسيّد الْعَزِيز: ثَقَلٌ، من هَذَا. وسَمَّى الله جلّ وَعز الجنَّ وَالْإِنْس الثَّقَلَين فَقَالَ: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ}[5] سُمِّيا ثَقَلَيْن لتفضيل الله إيَّاهما على سَائِر الْحَيَوَان الْمَخْلُوق فِي الأَرْض بالتمييز وَالْعقل الَّذِي خُصَّا بِهِ)[6].

أما ابن فارس فقد قال: (الثَّاءُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ كَلِمَاتٌ مُتَقَارِبَةٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْخِفَّةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ الثَّقَلَيْنِ، لِكَثْرَةِ الْعَدَدِ)[7] وذكر عدد من المفسرين التعليلات السابقة وزادوا علة أخرى، يقول

(١) الزلزلة/٢.
(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٢.
(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/٣٢٠.
(٤) البيت من بحر الكامل في إصلاح المنطق /٢٩٤ والكنز اللغوي /٥١ والألفاظ لابن السكيت/٢٨٢ والجمهرة ١/٤١٩ والزاهر لابن الأنباري ١/٢٦٠.
(٥) الرحمن/٣١.
(٦) تهذيب اللغة ٩/٧٨.
(٧) مقاييس اللغة /باب الثاء والقاف وما يثلثهما

الثعلبي: (قال جعفر الصادق: سمي الجن والانس ثقلين؛ لأنهما مثقلان بالذنوب)[1] وهذا التعليل لا يبعد عن التعليل الذي ذكره ابن قتيبة.

المَثَانِي

المثاني: ما ولي المِئين من السور التي هي دون المائة. كأن المئين مَبَادٍ وهذه مَثَانٍ.

وقد تكون المثاني سُوَر القرآن كلَّها قصارها وطوالها. ويقال من ذلك قوله ﷻ: {كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}[2] ومنه قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[3].

وإنما سمِّي القرآن مثاني؛ لأن الأنباء والقصص تثنَّى فيه.

ويقال المثاني في قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} آيات سورة الحمد. سمَّاها مثاني لأنها تثنَّى في كل صلاة)[4].

ذكر ابن قتيبة للمثاني ثلاثة معانٍ وعلل لكل معنى منها، وسبيل التسمية فيها جميعا الوصف، فهو يرى أنها تطلق تارة على نوع من السور لم تتجاوز المائة آية، فهي تأتي ثانية بعد المئين.

وتارة تطلق على القرآن كله وعلل لهذه التسمية بقوله: وإنما سمِّي القرآن مثاني؛ لأن الأنباء والقصص تثنَّى فيه. وتارة أخرى يطلق الاسم على فاتحة الكتاب وعلل لهذه التسمية بأنها تثنَّى – أي تكرر –في كل صلاة. فالاسم واحد، والمسمى ثلاثة، والوصف متعدد، والعلة واحدة.

وقد ذكر الخليل نحوًا من ذلك فقال: (المُثَّاني: آياتُ فاتحةِ الكِتابِ، وفي حديث آخر: المَثاني: سُوَرٌ أَوَّلُها: البَقَرة، وآخِرُها: بَراءة. وفي ثالثٍ:

(١) الثعلبي ١٨٦/٩وينظرالكشاف ٤٤٨/٤ والمحرر الوجيز ٢٣٠/٥، والبغوي ٣٣٦/٤، وزاد المسير ٢١١/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦٩/١٧.

(٢) الزمر/٤٦.

(٣) الحجر/٨٧.

(٤) تفسير غريب القرآن /٣٥.

المثاني: القُرآنُ كُلُّه؛ لأنّ القصص والانباء تثنى فيه)[١] ونلاحظ أن ابن قتيبة قد خالف الخليل في قوله الثاني، حيث جعلها تنحصر في السبع الطوال، بينما قال ابن قتيبة: المثاني: ما ولي المِئين من السور التي هي دون المائة. كأن المئين مَبَادٍ وهذه مَثَانٍ.

وبمثل هذا القول قال أبو عبيد وأبو بكر الأنباري والزجاج والجوهري والأزهري نقلا عن الفراء والزجاج وأبي الهيثم، وابن سيده والسجستاني.[٢]

ولابن عطية تعليل ثانٍ حيث قال: (أما المثاني فقيل: سميت بذلك لأنها تثنى في كل ركعة وقيل سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخرا لها)[٣].

أما أبو عبيدة فله تعليل آخر يقول فيه: (سميت آيات القرآن مثاني لأنها تتلو بعضها بعضا فثنيت الأخيرة على الأولى، ولها مقاطع تفصّل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة، وهي كذا وكذا آية)[٤] ولا يبعد هذا التعليل عما ذُكِرَ من قبل حيث يشترك معها في المعنى العام.

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن فارس حيث قال: (الثَّاءُ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَكْرِيرُ الشَّيْءِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ جَعْلُهُ شَيْئَيْنِ مُتَوَالِيَيْنِ أَوْ مُتَبَايِنَيْنِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ ثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنْيًا. وَالِاثْنَانِ فِي الْعَدَدِ مَعْرُوفَانِ. والثني وَالثُّنْيَانُ الَّذِي يَكُونُ

(١) العين ٢٤٣/٨ باب الثاء والنون من الثلاثي المعتل.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١٤٥/٣، ١٤٦، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢٠٥/٢، ٢٠٦، وينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨٥/٢، ١٨٦، والصحاح –ث ن ي) – والتهذيب ١٠٠/١٥، ١٠١، والمحكم ١٩٦/١٠، ١٩٧ باب الثاء والنون والياء، وغريب القرآن للسجستاني/٢٦٣.

(٣) المحرر الوجيز ٦٥/١.

(٤) مجاز القرآن ٣٥٤/١.

بَعْدَ السَّبْعِ، كَأَنَّهُ ثَانِيهِ.... وَالْمَثْنَاةُ: مَا قُرِئَ مِنَ الْكِتَابِ وَكُرِّرَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} أَرَادَ أَنَّ قِرَاءَتَهَا تُثَنَّى وَتُكَرَّرُ)[١].

الجن

(الجن: من الاجْتنان، وهو الاسْتِتارُ. يقال للدرع: جُنَّةٌ؛ لأنها سترت. ويقال: أجَنَّه الليل؛ أي: جعله من سواده في جُنّة؛ وجَنَّ عليه الليلُ. وإنما سموا جِنًّا: لاستتارهم عن أبصار الإنس)[٢]

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية الجن بهذا الاسم، ولتسمية الدرع: " جُنَّةً "، فيرى أن الجن سُمُّوا بذلك لاستتارهم عن أبصار الإنس، وأن الدرع سميت جُنَّةً لأنها تستر ما وراءها، وعليه تكون علة التسمية طريقها الوصف.

وقد سبق الخليل إلى هذا التعليل حيث قال: (الجنُّ: جماعة وَلَدِ الجانِّ، وجمعهم الجِنَّةُ والجِنّانُ، سُمُّوا به لاستجنانهم من الناس فلا يُرونَ...والجُنَّةُ: الدرع، وكل ما وقاك فهو جُنَّتُك)[٣].

ويؤيد ذلك ما جاء في المقاييس: (الْجِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: السَّتْرُ وَالتَّسَتُّرُ. فَالْجَنَّةُ: مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ مَسْتُورٌ عَنْهُمُ الْيَوْمَ. وَالْجَنَّةُ: الْبُسْتَانُ، وَهُوَ ذَاكَ؛ لِأَنَّ الشَّجَرَ بِوَرَقِهِ يَسْتُرُ. وَنَاسٌ يَقُولُونَ:الْجَنَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: النَّخْلُ الطِّوَالُ، وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِ زُهَيْرٍ:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقًا[٤]

وَالْجَنِينُ: الْوَلَدُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. وَالْجَنِينُ: الْمَقْبُورُ. وَالْجَنَانُ: الْقَلْبُ. وَالْمِجَنُّ: التُّرْسُ. وَكُلُّ مَا اسْتُتِرَ بِهِ مِنَ السِّلَاحِ فَهُوَ جُنَّةٌ.... وَالْجِنُّ سُمُّوا بِذَلِكَ

(١) مقاييس اللغة (ث ن ي).
(٢) تفسير غريب القرآن ص٢١.
(٣) العين ٦/٢١.
(٤) بيت من البسيط في ديوانه/٧٣.

لِأَنَّهُمْ مُتَسَتِّرُونَ عَنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ})[1] وبمثل قول ابن قتيبة قال جمع من اللغويين.[2]

حجر

({وَحَرْثٌ حِجْرٌ}[3]: أي زرع حرام. وإنما قيل للحرام: حِجْر؛ لأنه حُجِرَ على الناس أن يصيبوه)[4].

يلتمس ابن قتيبة في هذا النص تعليلًا لتسمية الحرام: حجرًا، فالحِجْرُ من الحَجْرِ وهو: المنع، والحرام محجور على الناس إصابته، فالتعليل هنا مبني على الوصف.

ويؤكد هذا التعليل ويدعمه ما ذكره ابن فارس في هذا الصدد حين قال: (الْحَاءُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالْإِحَاطَةُ عَلَى الشَّيْءِ. فَالْحَجْرُ حَجْرُ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ تُكْسَرُ حَاؤُهُ. وَيُقَالُ حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى السَّفِيهِ حَجْرًا؛ وَذَلِكَ مَنْعُهُ إِيَّاهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ. وَالْعَقْلُ يُسَمَّى حِجْرًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ إِتْيَانِ مَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا سُمِّيَ عَقْلًا تَشْبِيهًا بِالْعِقَالِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [5] وَحَجْرٌ: قَصَبَةُ الْيَمَامَةِ. وَالْحَجَرُ مَعْرُوفٌ، وَأَحْسِبُ أَنَّ الْبَابَ كُلَّهُ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ وَمَأْخُوذٌ مِنْهُ، لِشِدَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ.... وَالْحِجْرُ: الْحَرَامُ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ يَخَافُهُ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَيَقُولُ: حِجْرًا، أَيْ حَرَامًا، وَمَعْنَاهُ: حَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَنَالَنِي بِمَكْرُوهٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ رَأَى الْمُشْرِكُونَ

(١) مقاييس اللغة –ج ن ن– والآية من سورة الأعراف/٢٧.
(٢) ينظر مجالس ثعلب/٥٨، والجمهرة ٩٣/١، والزاهر في معاني كلام الناس ٣٢٢/٢، وتصحيح الفصيح /١٧٣، ٣٣٠، والصحاح–ج ن ن–، والصاحبي/٣٥، والمحكم ٢١١/٧– ٢١٤، ولسان العرب – ج ن ن–، والمزهر ٢٧٤/١.
(٣) الأنعام/١٣٨.
(٤) تفسير غريب القرآن/١١.
(٥) الفجر: الآية٥.

مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ فَيَقُولُونَ: {حِجْرًا مَحْجُورًا} [1] فَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانَ يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ:

حَتَّى دَعَوْنَا بِأَرْحَامٍ لَهُمْ سَلَفَتْ ... وَقَالَ قَائِلُهُمْ إِنِّي بِحَاجُورِ)[2]

وورد عن ابن سيده قوله: (قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَيَقُول الرجل للرجل: أتفعل كَذَا وَكَذَا يَا فلَان؟ فَيَقُول: حِجْراً أَي: سترا وَبَرَاءَة من هَذَا الْأَمر، وَهُوَ رَاجع إِلَى معنى التَّحْرِيم)[3].

حفدة

{بَنِينَ وَحَفَدَةً}[4] (الحفدة: الخدم والأعوان. ويقال: هم بنون وخدم. ويقال: الحفدة الأصهار.

وأصل الحَفْد: مُدَارَكَةُ الخطو والإسراع في المشي. وإنما يفعل هذا الخدم. فقيل لهم: حفدة، واحدهم حافد، مثل: كافر وكفرة)[5].

رادف ابن قتيبة في هذا النص بين (خدم) و(حفدة) وعلل لهذا الترادف وهذه التسمية بقوله: وأصل الحَفْد: مُدَارَكَةُ الخطو، والإسراع في المشي. وإنما يفعل هذا الخدم. فقيل لهم: حفدة.وهو من باب التسمية بالوصف.

وقد أشار أبو عبيد إلى ذلك فقال: (قَوْله: نَحْفِدُ أصل الحَفْد الْخدمَة وَالْعَمَل يُقَال: حَفَد يَحفِدُ حَفْداً وَقَالَ الأخطل:

---

(١) الفرقان:٢٢.

(٢) المقاييس –ح ج ر– والبيت من البسيط دون عزو في العين ٧٤/٣ وغريب الحديث للحربي ٢٣٣/١ والتهذيب ٨١/٤.

(٣) المحكم ٦٦/٣ باب الحاء والجيم والراء.

(٤) النحل/٧٢.

(٥) تفسير غريب القرآن/٢٤٦.

حَفَدَ الولائِدُ حولَهن وأسلمتْ ... بأكُفِّهِنَّ أزِمَّةَ الأجْمالِ[١]

أَرَادَ خدمهن الولائد، وَقَالَ الشَّاعِر:

كَلّفتُ مجهولَها نوقا يمانِية ... إذا الحُداة على أكسائها حَفَدُوا[٢]

وإلى هذا ذهب الفارابي وغيره حين قال: (يقال: حفدَ البعيرُ: إذا دارَكَ المشي وفيه قرمطة. وقول الدّاعي: "ونحفد: نرجو رَحْمَتَك" من هذا. أي نبادرُ)[٣].

ومما يؤكد ما ذكره ابن قتيبة ويدعمه قول ابن فارس: (الْحَاءُ وَالْفَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْخِفَّةِ فِي الْعَمَلِ، وَالتَّجَمُّعِ. فَالْحَفَدَةُ: الْأَعْوَانُ؛ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهِمُ التَّجَمُّعُ وَالتَّخَفُّفُ، وَاحِدُهُمْ حَافِدٌ. والسُّرْعَةُ إِلَى الطَّاعَةِ حَفْدٌ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي دُعَاءِ الْقُنُوتِ: " إِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ"[٤]، قَالَ:

*** يَا ابْنَ الَّتِي عَلَى قَعُودٍ حَفَّادْ ***[٥]

---

(١) البيت من الكامل للأخطل في غريب الحديث لأبي عبيد ٣٧٤/٣، ودون عزو في العين ١٨٥/٣ والجمهرة ٥٠٤/١ والتهذيب ٢٤٧/٤ واللسان (ح ف د) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٣/٣ ومعاني القرآن للنحاس ٩٠/٤ والكشف والبيان ٣٠/٦والبحر المحيط ٥٤٣/٦ والدر المصون ٢٦٥/٧.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد٣٧٤/٣ والبيت من البسيط عزاه الثعلبي للراعي (الكشف والبيان ٣١/٦) وعزاه السمين الحلبي للأعشى (الدر المصون ٢٦٥/٧) ودون عزو في التهذيب ١٧٠/١٠.

(٣) ديوان الأدب ١٥١/٢، وينظر الجمهرة ٥٠٤/١، والكشف والبيان ٣٠/٦ ،٣١، والكشاف ٦٢٠/٢.

(٤) عزاه أبو عبيد لعمر بن الخطاب، وذكره آخرون دون عزو. ينظر غريب الحديث لأبي عبيد٣٧٤/٣، وغريب الحديث لابن قتيبة ١٧٠/١، ٤٧٥، وغريب الحديث للخطابي ١١١/٢، والفائق في غريب الحديث ٢٧٦/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤٠١/١.

(٥) مقاييس اللغة –ح ف د – والرجز دون عزو في القلب والإبدال لابن السكيت (الكنز اللغوي /١٢٣).

السلام – دار السلام

سَمى نفسه –جل ثناؤه –"سلامًا": لسلامته ممَّا يَلحق الخلقَ: من العيب والنقص، والفناء والموت.

قال الله جل وعز: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ} [(١)]؛ فالسلام: الله؛ ودارُه: الجنة.

يجوز أن يكون سماها(سلاما)؛ لأن الصائر إليها يَسلَمُ فيها من كل ما يكون في الدنيا: من مرض ووَصَبٍ، وموت وهَرَم؛ وأشباهِ ذلك. فهي دارُ السلام. ومِثْلُه: {لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[(٢)].

ويُسمَّى الصوابُ من القول "سلاما": لأنه سَلِم من العيب والإثم) قال: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا}[(٣)] أي: سدادًا من القول)[(٤)].

في هذا النص ذكر ابن قتيبة ثلاثة أسماء وعلل لها، والأسماء هي: السلام، وهو الله ﷻ فقد سَمَّى نفسه السلام. ودار السلام، مرادًا بها الجنة.والسلام: صواب القول وسداده.

وذكر أن الله ﷻ سَمَّى نفسه السلام، وقد علل ابن قتيبة لهذه التسمية فقال: لسلامته ممَّا يَلحق الخلقَ: من العيب والنقص، والفناء والموت. وطريق العلة هنا هو الوصف.

وعلل لتسمية الجنة (دار السلام) بتعليلين، الأول: أنها دار الله السلام التي أعدها لعباده المتقين.

والعلة هنا من باب تسمية الشيء بما يضاف إليه تشريفًا وتعظيمًا.

---

(١) يونس/٢٥.

(٢) الأنعام/١٢٧.

(٣) الفرقان/٦٣.

(٤) تفسير غريب القرآن/ ٦-٧.

والثاني: يجوز أن يكون سماها(سلاما)؛ لأن الصائر إليها يَسلَمُ فيها من كل ما يكون في الدنيامن مرض ووَصَبٍ، وموت وهَرَم؛ وأشباهِ ذلك. وعلة التسمية هنا هي الوصف.

ويعلل لتسمية صواب القول وسداده (سلامًا) بقوله: لأنه سلم من العيوب، فالعلة–كذلك–تدخل في باب الوصف.

ويؤيد ذلك ما ذكره الخليل حيث قال: (السَّلام يكون بمعنَى السَّلامة. وقول النّاس: السَّلام عليكم، أي: السَّلامةُ من اللهِ عَلَيْكم. وقيل: هو اسمٌ من أسماءِ اللهِ، وقيل: السَّلامُ هو اللهُ، فإذا قيل: السَّلامُ عليكم فكأنّه يقول: اللهُ فوقكم)[1].

وقال ابن فارس: (السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ؛ وَيَكُونُ فِيهِ مَا يَشِذُّ، وَالشَّاذُّ عَنْهُ قَلِيلٌ، فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ السَّلَامُ ؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ}، فَالسَّلَامُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَارُهُ الْجَنَّةُ. وَمِنَ الْبَابِ أَيْضًا الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ؛ لِأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ الْإِبَاءِ وَالِامْتِنَاعِ. وَالسِّلَامُ: الْمُسَالَمَةُ. وَفِعَالٌ تَجِيءُ فِي الْمُفَاعَلَةِ كَثِيرًا نَحْوَ الْقِتَالِ وَالْمُقَاتَلَةِ. وَمِنْ بَابِ الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ: السَّلَمُ الَّذِي يُسَمَّى السَّلَفَ، كَأَنَّهُ مَالٌ أَسْلَمُ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ إِعْطَائِهِ. وَمُمْكِنٌ أَنْ تَكُونَ الْحِجَارَةُ سُمِّيَتْ سِلَامًا لِأَنَّهَا أَبْعَدُ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالذَّهَابِ؛ لِشِدَّتِهَا وَصَلَابَتِهَا)[2].

وذكر كثير من المفسرين وأصحاب المعاجم أن السلام يكون بمعنى صواب القول وسداده.[3].

---

(١) العين ٢٦٥/٧.

(٢) المقاييس (س ل م).

(٣) ينظر الطبري ٢٩٥/١٩، والثعلبي ١٤٥/٧، والبغوي ٤٥٤/٣، والكشاف ٢٩١/٣، والمحرر الوجيز ٢١٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٦٩/١٣، وتفسير البيضاوي ١٣٠/٤، والبحر المحيط ١٢٧/٨، والدر المصون ٤٩٨/٨، ولسان العرب باب الميم فصل السين.

السُّورَةُ

السُّورَةُ –تهمز ولا تهمز–، فمن همزها جعلها من أَسْأَرْتُ، يعني أفضَلْت. لأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من سُورَة البِنَاء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النّعْمان:

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ(١)

والسُّورَةُ في هذا البيت سُورَةُ المَجْد. وهي مستعارة من سورة البناء)(٢)

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية السورة من القرآن بهذا الاسم، ويذكر ابتداءً أن الكلمة قد تكون مهموزة العين فهي من (س أ ر) بمعنى بقية وفضلة، وقد تكون غير مهموزة العين فتكون من (س و ر) بمعنى السور المحيط بالبناء. وقد علل للتسمية على الاحتمالين، فهو يرى أنها على الهمز تكون بمثابة القطعة من القرآن، وأنها من دون الهمز تعني أنها جزء بُنِيَ منه القرآن. والعلة التي أوردها ابن قتيبة في الحالين تعود إلى التسمية بالوصف.

ويؤيد تعليل ابن قتيبة ما ذكره ابن دريد في ذلك حيث قال: (السُّورة من الْقُرْآن كَأَنَّهَا دَرَجَة أَو مَنزلة يُفْضَى مِنْهَا الى غَيرهَا فِي لُغَة من لم يهمز... والسُّؤْر، مَهْمُوز، وَالْجمع أسْآر: مَا أبقيتَ فِي الْإِنَاء. وَزعم قوم أَن السّورة من الْقُرْآن من هَذَا إِذا هُمزت، كَأَنَّهَا أُسئرت، أَي بُقّيت من شَيْء. وَفِي وصيّة بعض الْعَرَب لِبَنِيهِ: إِذا شربتُم فأسئروا، أَي أبْقُوا فِي الْإِنَاء فَإِنَّهُ أجمل)(٣).

كما ذكر أبو بكر بن الأنباري: (فيها أربعة أقوال: قال أبو عبيدة: سميت السورة سورة، لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سُورَة البناء. قال النابغة:

---

(١) البيت من الطويل في ديوانه /٢٣.

(٢) تفسير غريب القرآن /٣٤ وذكر ذلك أيضًا في غريب الحديث أيضًا ٢٤١/١.

(٣) الجمهرة ٧٢٣/٢.

ألم ترَ أَنَّ الله أعطاكَ سُورَةً ... ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

أي: أعطاك منزلة شرف، ارتفعت إليها عن منازل الملوك.

والقول الثاني: أن تكون سميت: سورة، لشرفها وعظم شأنها؛ فتكون مأخوذة من قول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع. قال النابغة:

ولرَهْطِ حَرّابٍ وقَدٍّ سُورَةٌ ... في المجدِ ليسَ غرابُها بُمطار(١)

وقال الآخر:

أَبَتْ سُورةٌ فيهم قديماً ثباتها ... من المجد تنميهم على مَنْ تَفَضَّلا(٢)

والقول الثالث: أن تكون سميت: سورة، لكبرها وتمامها على حيالها. فتكون مأخوذة من قول العرب: عنده سُورٌ من الإبل، أي: أقرام كرام. واحدتها: سورة. قال الشاعر:

أرسلتُ فيها مُقْرَماً غير فقرْ ...طَبّاً بأطهارِ المرابيعِ السُوَرْ(٣)

والقول الرابع: أن تكون سميت: سورة، لأنها قطعة من القرآن على حدة، وفضلة منه. أخِذت من قول العرب: أسأرت منه سُؤراً، أي: أبقيت منه بقية، وأفضلت منه فضلة. جاء في الحديث: (إذا أَكَلْتُمْ فَأَسْئِرُوا)، أي: أبقوا بقية، وأفضلوا فضلة. فيكون الأصل فيها: سُؤرة، بالهمز، فتركوا الهمزة، وأبدلوا منها واواً، لانضمام ما قبلها. قال الشاعر:

إزاءُ معاشٍ ما يزالُ نطاقُها ... شديداً وفيها سُؤْرَةٌ وهي قاعِدُ

معناه: وفيها بقية من شباب)(٤).

---

(١) البيت من الكامل في ديوانه/٥٠.

(٢) البيت من الطويل، ولم أقف عليه عند غير ابن الأنباري.

(٣) البيت من الرجز، ولم أقف عليه عند غير ابن الأنباري. (والمُقْرَمُ: البعيرُ المُكْرَمُ لا يُحمل عليه ولا يُذَلَّلُ، ولكن يكون للفحلة. " الصحاح –ق ر م– ").

(٤) الزاهر للأنباري ١/٧٥– ٧٦ وينظر الصحاح – س و ر–، وأساس البلاغة – س أ ر– والبيت من الطويل.

الشيطان

(الشيطان، تقديره فَيْعَال. والنون من نفس الحرف، كأنه من شَطَنَ، أي: بَعُدَ. ومنه يقال شَطَنَتْ دارُه أي: بعدت. وقَذَفَتْه نَوًى شَطُون، أي: بعيدة)[1].

يشير ابن قتيبة بهذا النص إلى المناسبة بين اللفظ (الشيطان) ومدلوله، وعلة تسميته بهذا الاسم، المتمثلة في البعد، فقال: كأنه من شَطَنَ، أي: بَعُدَ، وجاء التعبير بالبعد ليشمل كل بعد، البعد عن طاعة الله الحق، وعن الخير، وعن رحمة الله تعالى، وعن الجنة.

وقد سبق الخليل ابن قتيبة في هذا حين قال: (الشَّيطانُ: فيعال، من شطن، أي: بعد. ويقال: شيطن الرَّجلُ، وتشيطن: إذا صار كالشَّيطان. وفعل فعله، قال رؤبة:

وفي أخاديد السِّياط المُشَّنِ ... شافٍ لبغي الكلبِ المُشيطنِ[2]

كما ذهب إلى ذلك ابن فارس حيث قال: (الشِّينُ وَالطَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْبُعْدِ. يُقَالُ شَطَنَتِ الدَّارُ تَشْطُنُ شُطُونًا إِذَا غَرَبَتْ. وَنَوًى شَطُونٌ، أَيْ بَعِيدَةٌ. قَالَ النَّابِغَةُ:

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوًى شَطُونُ ... فَبَانَتْ وَالْفُؤَادُ بِهَا رَهِينُ[3]

وَيُقَالُ بِئْرٌ شَطُونٌ، أَيْ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ، وَالشَّطَنُ: الْحَبْلُ. وَهُوَ الْقِيَاسُ، لِأَنَّهُ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ فَرَسًا فَقَالَ: " كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ فِي أَشْطَانٍ ". قَالَ الْخَلِيلُ: الشَّطَنُ: الْحَبْلُ الطَّوِيلُ.

وَيُقَالُ لِلْفَرَسِ إِذَا اسْتَعْصَى عَلَى صَاحِبِهِ: إِنَّهُ لَيَنْزُو بَيْنَ شَطَنَيْنِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَشُدُّهُ مُوثَقًا بَيْنَ حَبْلَيْنِ.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٢٣.

(٢) العين ٢٣٧/٦ باب الشين والطاء والنون ، والرجز لرؤبة في ديوانه/١٦٥.

(٣) من الوافر للنابغة في ديوانه/١٨٦.

وَأَمَّا الشَّيْطَانُ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَالنُّونُ فِيهِ أَصْلِيَّةٌ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ وَتَمَرُّدِهِ. وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ عَاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ: شَيْطَانٌ. قَالَ جَرِيرٌ:

أَيَّامَ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلِي ... وَهُنَّ يَهْوَيْنَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانًا (١)

وَعَلَى ذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}(٢) وَقِيلَ إِنَّهُ أَرَادَ الْحَيَّاتِ: وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَّةَ تُسَمَّى شَيْطَانًا، قَالَ:

تُلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ ... تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفْرِ (٣)

وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حُجَّةِ مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَأَنَّ النُّونَ فِي الشَّيْطَانِ أَصْلِيَّةٌ قَوْلُ أُمَيَّةَ:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ... وَرَمَاهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ

أَفَلَا تَرَاهُ بَنَاهُ عَلَى فَاعِلٍ وَجَعَلَ النُّونَ فِيهِ أَصْلِيَّةً؟ فَيَكُونُ الشَّيْطَانُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِوَزْنِ فَيْعَالٍ)(٤) وقال الأزهري بعد أن نقل عن الليث: (وَقَالَ غَيره: الشيْطان: فَعْلان، من شَاطَ يَشِيطُ: إِذا هَلَك واحْتَرَق، مثل هَيْمان وغَيْمان، من هام وغام. قلت: وَالْأول أكبرُ، والدّليل على أَنه من " شَطَنَ" قَول أُمية بن أبي الصَّلت يذكر سُلَيْمَان النَّبِي:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصاهُ عَكَاهُ

أَرَادَ: أَيّمَا شَيْطَان)(٥).

فهذا النص يشير لوجود أصل آخر للكلمة – شاط يشيط –، ومن ثم تعليل آخر للاسم وهو أنه هالك محترق. وبالرأيين في أصل الكلمة قال

(١) من البسيط في ديوانه/٤٩٣.
(٢) الصافات/٦٥.
(٣) من الطويل دون عزو في المنجد في اللغة /٨٠، وديوان الأدب ٢/٦٠، والتهذيب ١/٣٢، والمحكم ٢/٥٤٦ والصحاح ولسان العرب (ش ط ن).
(٤) مقاييس اللغة: (ش ط ن).
(٥) تهذيب اللغة ١١/٢١٤ باب الشين والطاء.

الجوهري، وغيره من أصحاب المعاجم، وأصحاب التفسير.[١] وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية، وفي آخر زائدة[٢].

شهداء

{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ}[٣] (أي: ادعوهم لِيُعَاوِنُوكم على سورةٍ مثلِه ... وشهداؤهم من دون الله: آلهتهم؛ سُموا بذلك لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم)[٤].

في هذا النص يحاول ابن قتيبة الربط بين الاسم والمسمى، والمسمى هنا –كما يرى علماء التفسير–هو: الآلهة التي يعبدونها من دون الله، والاسم: هو شهداء، والذين يعبدون الآلهة المزعومة يشهدونها – أي يحضرون إليها، ومن ثَمَّ فقد اشتق من الفعل (شهد) الاسم شهداء، بمعنى: المشهودين، فهي صفة لهم، وعليه فعلة التسمية طريقها الوصف.

ومما يدل على صحة ذلك، ويؤكده ما ذكره ابن فارس حيث قال: الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ، وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأُصُولَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ. يُقَالُ: شَهِدَ يَشْهَدُ شَهَادَةً. وَالْمَشْهَدُ: مَحْضَرُ النَّاسِ. وَمِنَ الْبَابِ: الشُّهُودُ: جَمْعُ الشَّاهِدِ، وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَخْرُجُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ إِذَا وُلِدَ، وَيُقَالُ: بَلْ هُوَ الْغِرْسُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَجَاءَتْ بِمِثْلِ السَّابِرِيِّ تَعَجَّبُوا ... لَهُ وَالثَّرَى مَا جَفَّ عَنْهُ شُهُودُهَا[٥]

---

(١) الصحاح، والمقاييس، ولسان العرب، والقاموس المحيط (ش ط ن) والقاموس–ش ي ط–وينظر تفسير الكشف البيان ١٨٣/١وتفسير الراغب الأصفهاني ١٠٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٩٠/١ والنسفي ٥٢/١.

(٢) الكتاب ٢١٧/٣.

(٣) البقرة/٢٣.

(٤) تفسير غريب القرآن/٤٣.

(٥) من الطويل لحميد بن ثور الهلالي في ديوانه /٦٥.

وَقَالَ قَوْمٌ: شُهُودُ النَّاقَةِ: آثَارُ مَوْضِعِ مَنْتَجِهَا مِنْ دَمٍ أَوْ سَلًى. وَالشَّهِيدُ: الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُهُ، أَيْ تَحْضُرُهُ)[1].

وقد ذهب إلى هذه الرؤية بعض المفسرين فها هو ذا الأصفهاني يقول: (الشهادة: تبين الشيء الحاضر، فقولهم: " شهد زيد " في المعنى من قولهم: " حضر " وإن كان قد يفسر به، ولما كان تبين الشيء على ضربين: تبين بالبصر، وتبين بالبصيرة، والحضور على ضربين: حضور بالذات، وحضور بالتصور، صارت الشهادة تستعمل على أوجه بحسب ذلك، فيقال ذلك لحصول قربة ومنزلة، ومنه قيل: "استشهد فلان " " وهو شهيد " كأنه حضر وتبين ما كان يرجوه....

ولذلك متى أطلق لفظ الشهادة على ما يظهر من اللسان دون حصوله في القلب عد كذباً، كقوله تعالى في المنافقين حيث قالوا: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} فكذبهم وقال: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[2] ثم يقال لكل ما يدل على شيء: شهادة، وإن لم يكن قولاً، فقوله: {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} قد فسر على ما يقتضيه لفظ الشهادة، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) معناه: أعوانكم، وقال مجاهد: معناه الذين يشهدون لكم)[3].

أما أبو الفرج ابن الجوزي فقال: (قال ابن قتيبة: سموا شهداء، لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم. وقال غيره: لأنهم عبدوهم؛ ليشهدوا لهم عند الله)[4].

فهذا القول الذي نقله ابن الجوزي عن غير ابن قتيبة يشير قائله إلى أن لفظة الشهداء الواردة في الآية مشتقة من الفعل (شهد) بمعنى أخبر بما يعلم، وليست من (شهد) بمعنى حضر.

---

(١) مقاييس اللغة (ش هـ د).

(٢) المنافقون/١.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ١/١١٧.

(٤) زاد المسير ١/٤٤.

وقد ذكر أصحاب المعاجم المعنيين فقالوا: (الشّهادة أن تقول: استشهد فلانٌ فهو شهيد، وقد شهد عليّ فلانٌ بكذا شَهادةً، وهو: شاهد وشهيد. والتّشهُّدُ في الصّلاة من قولك: أشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ، وأشهد أنّ محمّداً عَبْدُه ورسولُه. ... والمَشْهَدُ: مَجْمعُ النّاسِ، والجمعُ: مشاهدٌ، ومشاهدُ مكّة: مواضعُ المناسك)[1].

الظلم –المظلومة

(الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، ومنه ظُلْمُ السِّقَاءِ: وهو شُرْبُهُ قبل الإدْرَاك؛ لأنَّه وضع الشُّرْب في غيرَ موضعه. وظلم الجَزُورِ: وهو نَحْرُه لغير عِلَّة. ومنه يقال: من أشبه أباه فما ظَلَمَ، أي: ما وضع الشبه في غير موضعه.

والمظلومة: الأرض التي حُفِرَ فيها ولم تكن موضع حفْر، سميت بذلك لأن الحفر: وُضِع في غير موضعه. فكأَن الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له، هذا وما أشبهه)[2].

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى المناسبة بين اللفظ والمدلول في ظلم السقاء، وظلم الجزور، والأرض المظلومة، فهذه العبارات الثلاث يجمعها معنى واحد وهو وضع الشيء في غير موضعه وهذا المعنى يعبر عنه بلفظة (الظلم) وقد علل للأخيرة منها بقوله: سميت بذلك لأن الحفر وُضِع غير موضعه. فكأَن الظالم هو الذي أزال الحق عن جهته وأخذ ما ليس له. وعلى هذا فعلة التسمية هنا هي التسمية بالصفة.

وقد أشار ابن دريد إلى هذا المعنى فقال: (الظَّلْم: مصدر ظلمتُه أظلِمه ظَلْماً، والظُّلْم، بِالضَّمِّ الِاسْم. وأصل الظُّلْم: وضعُك الشيءَ فِي غير مَوْضِعه، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى سُمّي كل عَسْف ظُلماً.

(١) العين: ٣٩٨/٣، وينظر: الجمهرة ٦٥٣/٢، والصحاح، والمقاييس، ولسان العرب (ش هـ د).

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٩.

وظلمتُ السِّقاءَ أظلِمه ظُلْماً، إذا شربت مَا فِيهِ قبل أَن يروب. قَالَ الشَّاعِر:

وقائلةٍ ظلمتُ لكم سِقائي ... وَهل يَخْفَى على العَكَدِ الظَّليمُ[1]

العَكَدَة: أصل اللِّسَان، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللِّسَان فَلم يستقم لَهُ الْبَيْت. والمثل السائر: وأهْوَنُ مظلومٍ: سِقاء مروَّبُ وَيُقَال: ظلمتُ الأرضَ، إذا حفرت فِي غير مَوضِع حَفْر)[2].

العتيق

{بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[3] (سمي بذلك؛ لأنه عتيق من التَّجَبُّر، فلا يتكبر عنده جبّار)[4].

يعلل ابن قتيبة لتسمية البيت العتيق بهذا الاسم، فهو يشير إلى أنه من باب الصفات التي تحولت لأسماء، فعلة التسمية هنا هي الوصف.

وذكر الفراء أن هذا الرأي لابن عباس (رضي الله عنهما) فقال: (حَدَّثَنِي حِبَّانُ عَنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: العتيق: أُعْتِقَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ)[5] وبمثل ذلك قال الطبري، والزجاج ، وابن دريد، والأزهري، والنحاس، والثعلبي، والسجستاني، وابن الجوزي، والقرطبي.[6]

---

(١) من الوافر دون عزو في غريب الحديث لأبن قتيبة ٤٨٥/١، والمنجد /٦٨ والتهذيب ٢٧٥/١٤ والمحكم٢٥/١٠ والصحاح والمقاييس ولسان العرب (ظ ل م).

(٢) الجمهرة ٩٣٤/٢، وينظر الزاهر للأنباري ١١٧/١، وديوان الأدب ١٨٤/٢، والتهذيب ٢٧٤/١٤ – ٢٧٦، الصحاح، والمقاييس (ظ ل م)، والكشف والبيان ١٨٢/١.

(٣) {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} الحج/٢٩.

(٤) تفسير غريب القرآن ص٢٩٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٢٥/٢.

(٦) جامع البيان للطبري ٦١٤/١٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٤/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٤٠٣/٤، وجمهرة اللغة ٤٠٢/١ (باب التاء والعين والقاف)، والتهذيب ١٤٢/١(باب العين والقاف)، والكشف والبيان ٢٠/٧، وغريب القرآن للسجستاني/١٢٦و زاد المسير ٢٣٤/٣ –٢٣٥، والجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٢.

وهناك مَنْ يرى أنه أُعْتِقَ من الغرق أَيَّام الطُّوفان زمن نوح عليه السلام [1]، وهذا الرأي لا يبعد عما ذكره ابن قتيبة من جهة الاشتقاق، ورأي ثالث لا يبعد اشتقاقًا عن سابقيه يرى أصحابه أنه سُمِّي بذلك (لأن الله عز وجل أعتق زواره من النَّار إذا تَوَفَّاهُم على توحيده، وَمَا عَلَيْهِ نبيه ﷺ)[2] (وقال الحسنِ: هو البيت القديم، ودليله على ذلك قوله: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا}*)[3] والمادة هنا تختلف دلاليا عما سبق، فالفعل في الأولى متعدٍ، من(أعتقه) بمعنى أنجاه، وهنا لازم من (عتق) بمعنى قَدِمَ.

العاني

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ}[4] (أي: ذَلَّتْ. وأصله من عَنِيتُه: أي حبسته. ومنه قيل للأسير: عانٍ)[5].

ذكر ابن قتيبة أن الأسير يسمى: عان، وهم مأخوذ من (عنا) فَعِلَّةُ تسمية الأسير: عانٍ، مرتبطة بالوصف وهو القهر والذل، وكذلك الأسير مقهور ذليل، فالعلة إذن مبنية على الوصف.

ويدل على صحة ذلك ما ورد عن الخليل في ذلك حين قال:(العاني: الخاضع المُتَذَلِّل. قال الله عز وجل: "وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ " وهي تَعْنو عُنُوّاً. وجئت إليك عانياً: أي: خاضعاً كالأسير المرتهن بذنوبه. والعنوة: القهر. أخذها عنوة، أي: قهراً بالسّيف. والعاني مأخوذ من العنوة، أي: الذلة)[6].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٤٢٤، والتهذيب ١/١٤٢.

(٢) غريب القرآن للسجستاني/١٢٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٤٢٤، وغريب القرآن للسجستاني/١٢٦، ومعاني القرآن للنحاس ٤/٤٠٣، والتهذيب ١/١٤٢، والكشف والبيان ٧/٢٠ والآية رقم /٩٦من سورة آل عمران.

(٤) طه/١١١.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٢٨٢.

(٦) العين ٢/٢٥٢(باب العين والنون مع الألف) وينظر الجمهرة ٢/٩٥٤، ٩٥٥ (ع ن و)، وغريب القرآن للسجستاني/٣٣٦.

(وقَالَ أَبُو عبيد: فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ الصلاة والسَّلَام: "اتَّقوا الله فِي النِّسَاء فَإِنَّهُنَّ عنْدكُمْ عوانٍ"[١] قَوْله: عوان، واحدتها: عانية، وَهِي الْأَسِيرَة، يَقُول: إِنَّمَا هن عنْدكُمْ بِمَنْزِلَة الأسرى، وَيُقَال للرجل من ذَلِك: هُوَ عانٍ وَجمعه عناة. وَمِنْه حَدِيث النَّبِي ﷺ: {عُودُوا الْمَرِيضَ، وأَطْعِمُوا الجائِعَ، وَفُكُّوا العانِيَ}[٢]. يَعْنِي: الْأَسير، وَلَا أَظن هَذَا مأخوذا إِلَّا من الذل والخضوع؛ لِأَنَّهُ يُقَال لكل من ذل واستكان: قد عَنَّا يعنو. ... وَالِاسْم من ذَلِك العَنوة)[٣].

الغدير

({فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [٤] أي: لم نُخَلِّف، يقال: غادرت كذا وأَغْدَرْتُه: إذا خلّفته ومنه سمي الغدير؛ لأنه ماء تُخَلِّفه السيولُ)[٥].

يرمز ابن قتيبة بهذا لتسمية الغدير (مجتمع الماء في الأرض) بهذا الاسم فيقول: لأنه ماء تُخَلِّفه السيولُ، أي تغادره، فالتسمية عنده جاءت عن طريق تسمية الشيء بصفة فيه.

ومما يؤكد ذلك التعليل ويدعمه قول الخليل:(سمي الغدير، لأن السيل غادره) وقول ابن دريد: (غادرت الشيءَ، إذا تركته مغادرةً وغِداراً وأغدرته إغداراً، وَبِه سُمّي الغدير لِأَن السَّيْل غادرَه أَي تَركه، وَجمع الغدير غُدُر)[٦].

(١) الفائق في غريب الحديث ٣/٣١.

(٢) السابق الصفحة نفسها.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد٢/١٨٦ وينظر التهذيب ٣/١٣٤ (باب العين والنون).

(٤) الكهف/٤٧.

(٥) تفسير غريب القرآن/٢٦٨.

(٦) العين ٥/٣٣٧ والجمهرة ٢/٦٣٣(د رغ) وينظر البارع /٢٨٩ والصحاح (غ د ر) والنص عن أبي عبيد في المحكم ٥/٤٥٩ (غ د ر) والمخصص ٣/٣٦.

الفجور

(الفجور: الميل عن الحق إلى الباطل. ويقال للكذب أيضا: فجور، وهو الميل عن الصدق)[١].

في هذا النص يلمح ابن قتيبة إلي سبب تسمية الكذب فجوراً، فالفجور ميل عن الحق والكذب ميل عن الصدق، فهو يرى أن الفجور والكذب يجمعهما معنى عام، وهو الميل، فهو من باب تسمية الشيء بصفته.

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن فارس فقال: (الْفَاءُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّفَتُّحُ فِي الشَّيْءِ.

مِنْ ذَلِكَ الْفَجْرُ: انْفِجَارُ الظُّلْمَةِ عَنِ الصُّبْحِ. وَمِنْهُ: انْفَجَرَ الْمَاءُ انْفِجَارًا: تَفَتَّحَ. وَالْفُجْرَةُ: مَوْضِعُ تَفَتُّحِ الْمَاءِ. ثُمَّ كَثُرَ هَذَا حَتَّى صَارَ الِانْبِعَاثُ وَالتَّفَتُّحُ فِي الْمَعَاصِي فُجُورًا. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْكَذِبُ فُجُورًا. ثُمَّ كَثُرَ هَذَا حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ مَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ فَاجِرًا. وَكُلُّ مَائِلٍ عِنْدَهُمْ فَاجِرٌ. قَالَ لَبِيدٌ:

فَإِنْ تَتَقَدَّمْ تَغْشَ مِنْهَا مُقَدَّمًا ..... غَلِيظًا وَإِنْ أَخَّرْتَ فَالْكِفْلُ فَاجِرُ[٢]

وَمِنَ الْبَابِ الْفَجَرُ، وَهُوَ الْكَرَمُ وَالتَّفَجُّرُ بِالْخَيْرِ. وَمَفَاجِرُ الْوَادِي: مَرَافِضُهُ، وَلَعَلَّهَا سُمِّيَتْ مَفَاجِرَ لِانْفِجَارِ الْمَاءِ فِيهَا. قَالَ:

بِجَنْبِ الْعَلَنْدَى حَيْثُ نَامَ الْمَفَاجِرُ

وَمُنْفَجَرُ الرَّمْلِ: طَرِيقٌ يَكُونُ فِيهِ. وَيَوْمُ الْفِجَارِ: يَوْمٌ لِلْعَرَبِ اسْتُحِلَّتْ فِيهِ الْحُرْمَةُ)[٣].

وقد ذهب ابن منظور إلى ذلك فقال: (وَالْكَاذِبُ: فاجرٌ، وَالْمُكَذِّبُ: فاجرٌ، وَالْكَافِرُ: فاجرٌ؛ لِمَيْلِهِمْ عَنِ الصِّدْقِ وَالْقَصْدِ)[٤].

---

(١) تفسير غريب القرآن/٣٠.

(٢) من الطويل في ديوانه /٦٥.

(٣) مقاييس اللغة –باب الفاء والجيم وما يثلثهما.

(٤) لسان العرب (ف ج ر).

المُفَصَّلُ

(المُفَصَّلُ) ما يلي المثاني من قِصَار السّور؛ سمِّيت مفصّلا لقصرها وكثرة الفصُول فيها بسطر: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}(١).

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية المفصل – وهو قصار السور– بهذا الاسم، فيقول: سمِّيت مفصّلا لقصرها، وكثرة الفصُول فيها. والقِصر، وكثرة الفصول وصف في السور، فهو بهذا يرمز إلى أن التسمية مبنية على الوصف.

وقد ذكر هذا التعليل نفسه جمع من اللغويين والمفسرين منهم الأنباري، وابن منظور، والفيومي، والطبري، وابن الجوزي(٢).

أما ابن فارس فقد ذكر المادة واشتقاقها، فقال: (الْفَاءُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِبَانَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ: فَصَلْتُ الشَّيْءَ فَصْلًا. وَالْفَيْصَلُ: الْحَاكِمُ. وَالْفَصِيلُ: وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا افْتُصِلَ عَنْ أُمِّهِ. وَالْمِفْصَلُ: اللِّسَانُ، لِأَنَّ بِهِ تُفْصَلُ الْأُمُورُ وَتُمَيَّزُ. قَالَ الْأَخْطَلُ:

.... **وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمِفْصَلُ** (٣)

وَالْمَفَاصِلُ: مَفَاصِلُ الْعِظَامِ. وَالْمَفْصِلُ: مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَالْجَمْعُ مَفَاصِلُ. قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا ... يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ(٤)

(١) تفسير غريب القرآن/٣٦.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢٠٥/٢، ولسان العرب، والمصباح المنير (ف ص ل)، والطبري ١٠٤/١، وزاد المسير ١٤١/٤.

(٣) البيت في ديوانه /٢٠ والبيت بتمامه:

صَرِيعُ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشُّرْبُ رَأسَهُ ... لِيَحْيا وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمِفْصَلُ

(٤) من الطويل في ديوانه /١٩٩.

وَالْفَصِيلُ: حَائِطٌ دُونَ سُورِ الْمَدِينَةِ. وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاصِلَةً فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَذَا»، وَتَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا الَّتِي فَصَلَتْ بَيْنَ إِيمَانِهِ وَكُفْرِهِ)[١].

الفصيل

(الفِصَالُ: الفطام. يقال: فَصَلتُ الصبيَّ؛ إذا فطمته. ومنه قيل للحُوَار -إذا قطع عن الرضاع -: فصيل. لأنه فُصِل عن أمه. وأصل الفصل: التفريق)[٢].

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية الحُوَار -إذا قطع عن الرضاع: فصيلًا، بقوله: "لأنه فُصِلَ عن أُمِّهِ"، وهو بهذا يرمز إلى أن علة التسمية تكمن في الوصف.

ومما يؤكد هذا التعليل قول ابن السكيت: (فإذا بلغ الحوار سنة ففصل فهو فصيل وفطيم، قال وإنما يسمى فصيلا؛ لأنه فصل من أمه)[٣] وكذلك ما ورد عن الطبري حين قال: (يعني ب "الفصال": الفطام، وهو مصدر من قول القائل: "فاصلت فلانا أفاصله مفاصلة وفصالا"، إذا فارقه من خلطة كانت بينهما. فكذلك "فصال الفطيم"، إنما هو منعه اللبن، وقطعه شربه، وفراقه ثدي أمه)[٤].

(١) مقاييس اللغة (ف ص ل).
(٢) تفسير غريب القرآن/٨٩.
(٣) الكنز اللغوي (القلب والإبدال/٧٥).
(٤) تفسير الطبري ٦٧/٥ وينظر الجمهرة ٨٩١/٢، والمحكم ٣٢٩/٨ باب الصاد واللام مع الفاء، ومفاتيح الغيب ٤٦٣/٦، ومعاني القرآن للنحاس ٢٢٠/١.

(الأرض المقدسة) - (حظيرة القدس)

(ومن صفاته: "قُدُّوسٌ"، وهو حرف مبني على "فُعُّول"؛ من "القُدْس" وهو: الطهارة. ومنه قيل: "الأَرْض الْمُقَدَّسَة"؛ يراد: المطهَّرة بالتبريك. ومنه قوله حكاية عن الملائكة: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}؛ أي: نَنْسُبك إلى الطهارة. و"نُقدّسك ونُقدِّس لك" و"نُسَبِّح لك ونُسبِّحك" بمعنى واحد.

وحَظِيرة القُدس - فيما قاله أهل النظر -هي: الجنة. لأنها موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا: من الغائط والبول والحيض، وأشباهِ ذلك)[1].

يعلل ابن قتيبة في هذا النص لتسمية (الأرض المقدسة) و(الجنة- حظيرة القدس) بذلك، فهو يرى أن القدس هو: الطهارة، والأرض المقدسة: هي المطهرة، وكذلك حَظِيرة القُدس، وهي: الجنة- كما قيل- سميت بذلك لأنها موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا من الغائط والبول والحيض، وأشباهِ ذلك. وعلى ذلك تكون تسميتهما من باب تسمية الشيء بصفة فيه.

ومما يدل على صحة ما ذكره ابن قتيبة ما ورد عن ابن دريد حين قال: (القُدس من قَوْلهم: قدَّس يقدِّس تقديساً. وَالتَّقْدِيس: التَّطْهِير من قَوْلهم: لَا قدَّسه الله، أَي لَا طهّره. وَقَالَ قوم: بل التَّقْدِيس الْبركَة، وَبِه سمِّيت الشَّام الأَرْض المقدَّسة. واشتقاق بَيت المَقْدِس من التَّقْدِيس، وَهُوَ التَّطْهِير أَيْضا)[2] وما ذكره الجوهري: (القُدْسُ والقُدُسُ: الطُهْرُ، اسمٌ ومصدرٌ. ومنه قيل للجنَّة حظيرة القُدْسِ. وروح القُدُسِ: جبريل عليه السلام)[3].

أما ابن فارس فبين اشتقاق المادة، وما يندرج تحتها من ألفاظ فقال: (الْقَافُ وَالدَّالُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَلَامِ الشَّرْعِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الطُّهْرِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ هِيَ الْمُطَهَّرَةُ. وَتُسَمَّى الْجَنَّةُ

(١) تفسير غريب القرآن/ ٨-٩.
(٢) الجمهرة ٢/٦٤٦.
(٣) الصحاح (ق د س).

حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، أَيِ الطُّهْرِ. وَجَبْرَئِيلُ عليه السلام رُوحُ الْقُدُسِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مَعْنَاهُ وَاحِدٌ. وَفِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى: الْقُدُّوسُ، وَهُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَضْدَادِ والْأَنْدَادِ، وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَيُقَالُ: إِنَّ الْقَادِسِيَّةَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ وإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام دَعَا لَهَا بِالْقُدْسِ)[1].

الْقَضْبُ –القَتُّ

(الْقَضْبُ: القَتُّ. يقال: سميَ بذلك: لأنه يُقْضَبُ مرَّة بعد مرة؛ أي يُقطع)[2].

يرادف ابن قتيبة بين القضب والقت، فهو يرى أن القت يسمى قضبًا، ثم يعلل لهذه التسمية بقوله: لأنه يُقْضَبُ مرَّة بعد مرة، أي يُقطع. فهو يفسر القضب بالقطع، والقت يقطع عند أكله مرة تلو مرة، لما فيه من الرخاوة، والليونة، فلذا سمي قضبًا. وعليه فالتسمية سبيلها الوصف.

وذكر ذلك الفراء فقال: (القضب: الرَّطبة، وأهل مكَّة يسمون القتَّ: القضب)[3].

ويؤكد ما ذكره ابن قتيبة قول ابن دريد: (القضب: كل نبت اقتضب فَأكل رطبا) وقول ابن فارس: (الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: قَضَبْتُ الشَّيْءَ قَضْبًا.

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا رَأَى التَّصْلِيبَ فِي ثَوْبٍ قَضَبَهُ»، أَيْ قَطَعَهُ. وَانْقَضَبَ النَّجْمُ مِنْ مَكَانِهِ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

---

(١) المقاييس (ق د س) .

(٢) تفسير غريب القرآن/٥١٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٣وينظر التهذيب ٢٧٢/٨ باب القاف والضاد مع الباء، وزاد المسير ٤٠٣/٤ وجامع البيان للطبري ٢٢٦/٢٤، وغريب القرآن للسجستاني/٣٨٠، وينظر الكشف والبيان ١٣٣/١٠، وتفسير البغوي ٢١٢/٥.

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ ... مُسَوَّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ[1]

وَالْقَضِيبُ: الْغُصْنُ. وَالْقَضْبُ: الرَّطْبَةُ، سُمِّيَتْ لِأَنَّهَا تُقْضَبُ...)[2]

قسورة – الأسد

{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}[3] (قال أبو عبيدة: هو الأسد. وكأنه من "القَسْر" وهو: القهر. والأسدُ يقهر السِّباع)[4].

يرادف ابن قتيبة في هذا النص بين قسورة والأسد، ثم يعلل لتسمية الأسد قسورة بقوله: كأنه من "القَسْر" وهو: القهر. والأسدُ يقهر السِّباع، فاشتق له اسم من القسر، وهو القهر، فقوله: كأنه من القسر، وهو القهر، والأسد يقهر السباع، يرمز إلى أن التسمية جاءت عن طريق الوصف.

ومما يدل على صحة هذا التعليل قول ابن دريد: (القَسْر: الْأَخْذ بالغَلَبة والاضطهاد تَقول: قسرتُه أقسِره قَسْراً) وقول ابن فارس: (الْقَافُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ يَدُلُّ عَلَى قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ بِشِدَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْقَسْرُ: الْغَلَبَةُ وَالْقَهْرُ. يُقَالُ: قَسَرْتُهُ قَسْرًا، وَاقْتَسَرْتُهُ اقْتِسَارًا.وَبَعِيرٌ قَيْسَرِيٌّ: صُلْبٌ. وَالْقَسْوَرَةُ: الْأَسَدُ، لِقُوَّتِهِ وَغَلَبَتِهِ)[5] وبمثله قال أصحاب الغريب والمفسرون[6].

الكافر – والكفار

الكُفْرُ في اللغة: من قولك: كَفَرْتُ الشيءَ: إذا غَطَّيته.

---

(١) من البسيط في ديوانه /٢١.

(٢) الجمهرة ٣٥٥/١، ومقاييس اللغة (ق ض ب) وينظر الصحاح (ق ض ب)، والمحكم ١٨١/٦ واللسان (ق ض ب)، والمحرر الوجيز ٤٣٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٩.

(٣) المدثر/٥١.

(٤) تفسير غريب القرآن/٤٩٨.

(٥) الجمهرة ٧١٨/٢، ومقاييس اللغة (ق س ر).

(٦) ينظر: غريب القرآن للسجستاني /٣٧٩، والكشف والبيان ٧٩/١٠، والكشاف ٦٥٦/٤.

يقال لليل: كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول الله عز وجل: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}(١) يريد بالكُفَّار: الزُّرَّاع. سمّاهم كفّارًا؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفَرُوه أي: غَطُّوهُ وسَتَرُوهُ، فكأن الكافر ساتر للحق وساتر لنعم الله ﷻ)(٢).

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية الليل كافرًا، وكذلك تسمية الزُرَّاعَ كُفَّارًا، لما في الاسمين من معنى الستر والتغطية، فمادة (كفر) تعني التغطية والستر، وهي متحققة في الليل لستره الأشياء بظلمته، ومتحققة في الزراع لتغطيتهم البذر وستره، ويعد هذا التعليل من باب تسمية الشيء بصفته.

ومما يؤيد كلام ابن قتيبة قول ابن فارس: (الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا(٣)

فَيُقَالُ: إِنَّ الْكَافِرَ: مَغِيبُ الشَّمْسِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْكَافِرُ: الْبَحْرُ. وَكَذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُ الْآخَرِ:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا ... أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ(٤)

وَالنَّهْرُ الْعَظِيمُ كَافِرٌ، تَشْبِيهٌ بِالْبَحْرِ. وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}(٥) وَرَمَادٌ مَكْفُورٌ: سَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ عَلَيْهِ حَتَّى غَطَّتْهُ. قَالَ:

---

(١) الحديد/ ٢٠.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٨.

(٣) من الكامل للبيد في ديوانه /١٧٦.

(٤) البيت من بحر الكامل في إصلاح المنطق /٢٩٤ والكنز اللغوي /٥١ والألفاظ لابن السكيت/٢٨٢ والجمهرة ٤١٩/١ والزاهر لابن الأنباري ٢٦٠/١.

(٥) الحديد/٢٠.

قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورْ(١)

وَالْكُفْرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا. وَالْكَافُورُ: كِمُّ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُنَوِّرَ. وَسُمِّيَ كَافُورًا لِأَنَّهُ كَفَرَ الْوَلِيعَ، أَيْ غَطَّاهُ. قَالَ:

كَالْكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ(٢)

وَيُقَالُ لَهُ: الْكُفُرَّى. فَأَمَّا الْكَفِرَاتُ وَالْكَفَرُ فَالثَّنَايَا مِنَ الْجِبَالِ، وَلَعَلَّهَا سُمِّيَتْ كَفِرَاتٍ، لِأَنَّهَا مُتَطَامِنَةٌ، كَأَنَّ الْجِبَالَ الشَّوَامِخَ قَدْ سَتَرَتْهَا. قَالَ: تَطَلَّعُ رَيَّاهُ مِنَ الْكَفِرَاتِ(٣).

وَالْكَفْرُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا بَعُدَ مِنَ النَّاسِ، لَا يَكَادُ يَنْزِلُهُ وَلَا يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ. وَمَنْ حَلَّ بِهِ فَهُمْ أَهْلُ الْكُفُورِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْكُفُورُ: الْقُرَى. جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «لِتُخْرِجَنَّكُمُ الرُّومُ مِنْهَا كَفْرًا كَفْرًا»(٤).

وقد ربط هذا الربط بين اللفظ والمعنى كثير من المعجميين، فها هو ذا الخليل بن أحمد يقول:

---

(١) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي في لسان العرب وتاج العروس (ر و ح) و(ق و ر) و(ك ف ر) ودون عزو في إصلاح المنطق /٩٩، و٢٤٠، وتهذيب اللغة ١١٣/١٠ والصحاح (ق و ر) و(ك ف ر) وقبله:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القُوْر ... قد درست غير رمادٍ مكفور

(٢) للعجاج في الجمهرة ٧٨٦/٢، والتهذيب ١١٥/١٠، وتاج العروس (ك ف ر) أما لسان العرب فعزاه في (ك ف ر) للعجاج وفي (ص ي ح) و(ع ر ق) لرؤبة، وقبله:

غَرَّاءَ تَسْبِي نَظَرَ النَّظُورِ بِفَاحِمٍ يُعْكَفُ أَوْ مَنْشُورِ

كَالْكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ.

(٣) عجز بيت من الطويل في لسان العرب وتاج العروس (ك ف ر) لعبد الله بن نمير الثقفيُّ، والبيت بتمامه:

لَهُ أَرَجٌ منْ مُجْمِرِ الهندِ ساطِعٌ ... تطلَّعُ رَيّاهُ من الكَفِراتِ

(٤) المقاييس، والمجمل باب الكاف والفاء وما يثلثهما.

(الرجل يكْفِرُ درعه بثوب كَفْراً، إذا لبسه فوقه، فذلك الثوب كافِر الدرع. والكافر: الليل والبحر، ومغيب الشمس. وكل شيء غطى شيئاً فقد كَفَرهُ. والكافِرُ من الأرض: ما بعد عن الناس، لا يكاد ينزله أحد، ولا يمر به أحد، ومن حلها يقال: هم أهل الكُفُور)[1] أما ابن دريد فقال: (أصل الكُفْر التغطية على الشَّيْء والستر لَهُ، فَكَأَن الْكَافِر مغطى على قلبه، وأحسب أَن لَفظه لفظ فَاعل فِي معنى مفعول. وكَفَرَ فلَان النعمةَ: إِذا لم يشكرها، يكفُرها كَفْراً فَهُوَ كَفُور. والكافور: وعَاء الطَّلْع ، وَهُوَ الكَفَر والكُفرَّى أَيْضا. وَقَالَ بعض أهل اللُّغَة: وعَاء كل شَيْء كافوره)[2].

أما المفسرون فتناولوا اللفظ ومدلوله عند تفسيرهم لآية الحديد وقالوا: (اختلف المتأولون في لفظة الْكُفَّارَ هنا، فقال بعض أهل التأويل: هو من الكفر بالله، وذلك لأنهم أشد تعظيما للدنيا وأشد إعجابا بمحاسنها. وقال آخرون منهم: هو من كفر الحب، أي ستره في الأرض، فهم الزراع وخصهم بالذكر، لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة، الذي لا عيب له)[3].

المئين

(السور التي تعرف بالمِئِين: هي ما ولي السَّبْع الطوال، سميت بمئين لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها)[4].

---

(١) العين ٣٥٧/٥ باب الكاف والراء والفاء معهما.

(٢) الجمهرة – باب الراء والفاء مع ما بعدهما من الحروف، وينظر تهذيب اللغة – باب الكاف والراء، والمحكم ٣/٧، وغريب الحديث للقاسم بن سلام ١٣/٣ ،١٤، والصحاح وأساس البلاغة ١٤٠/٢ ولسان العرب وتاج العروس (ك ف ر).

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٧/٥ وينظر الثعلبي ٢٤٤/٩ وتفسير الماتريدي ٣٢٠/٩، ٥٢٨/٩ والكشاف وزاد المسير ٢٣٦/٤و تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٤٦٤/٢٩ والقرطبي ٢٥٥/١٧ وتفسير النسفي ٤٣٩/٣.

(٤) تفسير غريب القرآن/٣٥، وغريب الحديث لابن قتيبة٢٤٢/١.

سور القرآن منها ما يسمى بالطوال، ومنها ما يسمى بالمئين، ومنها ما يسمى مثاني، ومنها ما يسمى مفصلا، وفي هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية ما يسمى بالمئين بهذا الاسم، حيث قال: لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، فعلة التسمية هنا هي الوصف والهيئة.

ولم يقل بهذا التعليل – حسب علمي – أحد سواه، اللهم إلا ما جاء في الإتقان للسيوطي[١]. بالنص نفسه مما يشعر بنقله عن ابن قتيبة دون عزو.

المضغة

(المضغة: اللَّحمة الصغيرة، سميت بذلك لأنها بقدْر ما يُمْضَغُ، كما قيل: غرفة، بقدر ما يُغْرَف)[٢] في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية المضغة بهذا الاسم، فيقول: سُمِّيَت بذلك لأنها بقدر ما يمضغ، فهو بهذا يرمز إلى أن التسمية جاءت عن طريق الوصف، حيث وصف – سبحانه – الطور الذي يلي العلقة – من أطوار خلق الإنسان– بالمضغة، أي: القطعة الصغيرة.

ومما يدل على يؤكد ما ذكره ابن قتيبة ما ذكره ابن فارس فقال: (الْمِيمُ وَالضَّادُ وَالْغَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الْمَضْغُ لِلطَّعَامِ. وَمَضَغَهُ يَمْضُغُهُ. وَالْمَضَاغُ: الطَّعَامُ يُمْضَغُ. وَالْمُضَاغَةُ: مَا يَبْقَى فِي الْفَمِ مِمَّا يُمْضَغُ. وَالْمَضْغَةُ: قِطْعَةُ لَحْمٍ، لِأَنَّهَا كَالْقِطْعَةِ الَّتِي تُؤْخَذُ فتمضغ. وَالْمَاضِغَانِ: مَا انْضَمَّ مِنَ الشِّدْقَيْنِ)[٣].

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٠/١.

(٢) تفسير غريب القرآن/٢٩٦.

(٣) مقاييس اللغة (م ض غ) وينظر العين ٣٧٠/٤، وغريب القرآن للسجستاني/٤٤٤، ومعاني القرآن للنحاس ٤٤٧/٤، والبحر المحيط ٤٧٧/٧.

وكذلك ما نقله الأزهري عن شمر: (قَالَ خَالِد بن جَنبة: المُضْغَةُ من اللَّحْم قدر مَا يُلقي الْإِنْسَان فِي فِيه، وَمِنْه قيل: فِي الْإِنْسَان مُضْغَتَان إِذا صَلحا صَلح البدنُ، القلبُ واللسانُ)[1].

الوفاة

(قوله {يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ}[2] هو من استيفاء العدد واستيفاء الشيء إذا استقصيته كله. يقال: توفيته واستوفيته. كما يقال: تيقَّنت الخبر واسْتَيْقَنْتُه، وتثبَّت في الأمر واسْتَثْبَتُه. وهذا [هو] الأصل. ثم قيل للموت: وفاة وتوف)[3].

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية الموت وفاةً، حيث ألمح إلى أن التوفي هو استيفاء الشيء واستقصاؤه، واللفظة تحتمل أن يكون المراد أن الإنسان قد استوفى أجله، ولم يبق له منه شيء، كما تحتمل اللفظة أن الله قد استوفى الإنسان بقبض روحه. ويعد ذلك من التسمية بالوصف.

ويؤكد ذلك ما ورد عن الخليل: (تقول: وَفَى يفي وفاءً فهو واف ... وفيتَ بعهدك، ولغة أهل تهامة: أوفيت. ووَفَى ريشُ الجناح فهو وافٍ، وكلّ شيءٍ بلغ تمام الكمال، فقد وَفَى وتمَّ.. وكذلك يقال: درهم وافٍ، يعني أنّه درهم يزن مثقالاً.. وكيل واف. ورجل وفيٌّ: ذو وفاء. وتقول: أَوْفَى على شَرفٍ من الأرض، إذا أَشْرف فوقَها. والمِيفاةُ: الموضعُ الذي يُوفي فوقه البازي لإيناس الطّير أو غيره. والمُوافاةُ: أن تُوافِيَ إنسانا في الميعاد، تقول: وافيته. وتقول: أَوْفَيْتُهُ حقَّهُ، ووفّيته أَجْرَهُ كلّه وحسابه ونحو ذلك. والوفاةُ: المنيّة.. وتُوُفِّيَ فلان، وتوفّاه الله، إذا قبض نَفسَهُ)[4].

أما السجستاني فقال: (يتوفاكم ملك الْمَوْت: من توفّي الْعدَد، واستيفائه، وتأويله أَنه يقبض أرواحكم أَجْمَعِينَ فَلَا ينقص وَاحِد مِنْكُم، كَمَا

(١) التهذيب ٥٧/٨ (باب الغين والضاد والميم).
(٢) الزمر/٤٢.
(٣) تفسير غريب القرآن /٢٤.
(٤) العين ٤٠٩/٨، ٤١٠.

تَقول: استوفيت من فلَان، وَتوفيت من فلَان مَا لي عِنْده، أَي لم يبْق لي عَلَيْهِ شيء)[1].

ويذكر ابن فارس المادة ومشتقاتها فيقول: (الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ. وَوَفَى: أَوْفَى، فَهُوَ وَفِيٌّ. وَيَقُولُونَ: أَوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ، إِذَا قَضَيْتَهُ إِيَّاهُ وَافِيًا. وَتَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَوْفَيْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْمَيِّتِ: تَوَفَّاهُ اللَّهُ)[2].

(١) غريب القرآن للسجستاني/٥١٩.

(٢) المقاييس (و ف ى).

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الثالث
التسمية بالفعل

الحَاصِبُ

(الحَاصِبُ: الريح. سميت بذلك؛ لأنها تَحْصب، أي: ترمي بالحصباء، وهي: الحصى الصغار)[1].

أشار ابن قتيبة في هذا النص إلى تسمية الريح بالحاصب، ثم علل لهذه التسمية بقوله: لأنها ترمي بالحصباء، وتعد هذه التسمية من باب التسمية بالفعل، حيث إن تحصب الناس، أي ترميهم بالحصباء، أي الحصى الصغار، فهي لذلك حاصب.

وقد ألمح ابن فارس إلى هذا التعليل حين قال: (الْحَاءُ وَالصَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ، وَهُوَ الْحَصْبَاءُ، وَذَلِكَ جِنْسٌ مِنَ الْحَصَى. وَيُقَالُ حَصَبْتُ الرَّجُلَ بِالْحَصْبَاءِ. وَرِيحٌ حَاصِبٌ، إِذَا أَتَتْ بِالْغُبَارِ. فَأَمَّا الْحَصْبَةُ فَبَثْرَةٌ تَخْرُجُ بِالْجَسَدِ، وَهُوَ مُشَبَّهٌ بِالْحَصْبَاءِ. فَأَمَّا الْمُحَصَّبُ بمنى: فَهُوَ مَوْضِعُ الْجِمَارِ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

أَرَى نَاقَتِي عِنْدَ الْمُحَصَّبِ شَاقَهَا ... رَوَاحُ الْيَمَانِي وَالْهَدِيلُ الْمُرَجَّعُ)[2]

وفي قول ابن قتيبة يذكر الريح مطلقة، في حين ذكرها كثير من اللغويين مقيدة، يقول الخليل: (الحاصِب: الريحُ تَحمِلُ التُرابَ، وكذلك ما تَناثَر من دِقاق البَرَد والثّلج، قال الأعشى:

لنا حاصِبٌ مثلُ رِجْلِ الدَّبَى ... وجأواءُ تُبرِق عنها الهُيُوبا

---

(١) تفسير غريب القرآن/ ٢٥٩.

(٢) المقاييس –ح ص ب– والبيت من بحر الطويل في ديوانه /١٦١.

يصف جَيشاً جَعَلَه بمنزلةِ الريح الحاصب يُثير الأرض)[١] وذكر – كذلك – جمع من اللغويين والمفسرين ما ذكره الخليل.[٢]

الْحَاقَّةُ

(الْحَاقَّةُ: القيامة؛ لأنها حَقَّتْ، فهي حاقة وحَقَّةٌ)[٣].

في هذا النص يرادف ابن قتيبة بين القيامة والحاقة، فهما اسمان لمسمى واحد، وقد علل لهذه التسمية، وهذا الترادف بقوله: لأنها حَقَّتْ. وعلة التسمية هنا تكمن في الفعل، وهو إحقاق الحق.

وقد تباينت الآراء حول المقصود بقوله "حقت"، فمن قائل بأنها التي حقَّتْ فلا كاذبةَ لها[٤] ومنقائل بأنها التي تحق كل شيء يعمله إنسان من خير أو شر؛ ولأن فيها الثواب والجزاء[٥] ومن قائل بأَنَّهَا التي تَحُقّ كل مُحاقّ فِي دين الله بِالْبَاطِلِ، أَي كل مجادل ومخاصم فتحُقه، أَي: تغلبه وتخصُمه[٦] ومن قائل:

(١) العين ١٢٤/٣ والبيت من بحر المتقارب في التهذيب ١٥٣/٤ ولسان العرب وتاج العروس (ح ص ب).

(٢) ينظر جامع البيان ٤٩٨/١٧، ٤٩٩، ومعاني القرآن للزجاج ٢٥١/٣، والجمهرة ٢٧٩/١ (ب ح ص)، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي/٩٢، وديوان الأدب ٣٤٤/١، ولسان العرب –ح ص ب–، والتهذيب ١٥٣/٤، والكشف والبيان ١١٤/٦، والبغوي ١٤٤/٣، والبحر المحيط ٦١/٧، ومعاني القرآن للنحاس ١٧٥/٤، وغريب القرآن للسجستاني/١٩٢.

(٣) تفسير غريب القرآن/٤٨٣

(٤) العين ٧/٣، وتفسير الكشف والبيان للثعلبي ٢٥/١٠، والبغوي ١٤٤/٥

(٥) معاني القرآن للفراء ١٧٩/٣ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٣/٥ والمحرر الوجيز ٣٥٦/٥.

(٦) التهذيب ٢٤٣/٣ باب الحاء والقاف.

إنها حاقة لِأَن فِيهَا حواق الْأُمُور، أَي: صحائحها[١] وعلى أية حال فالكلمة على إطلاقها تحتمل كل هذه الوجوه.

الطارق

{وَالسَماءِ وَالطَّارِقِ}[٢] (النجم؛ سُمي بذلك: لأنه يَطرُق، أي يطلُع ليلا، وكلُّ من أتاك ليلا فقد طَرَقك)[٣].

يعلل ابن قتيبة بذلك لتسمية النجوم بالطوارق، حيث يشير إلى أن الطروق هو الإتيان ليلًا.

والنجوم لا تأتي إلا بليل، فهي إذن طوارق، والنجم طارق، فعلة التسمية هنا سبيلها الفعل.

يقول الخليل: (قوله تعالى: "وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ" يقال: الطارق كوكب الصبح)[٤] وكذلك يقول ابن درستويه: (الطروق، وهو الإتيان بالليل. وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد، للشماخ:

ورب ضيف طرق الحي سرى ... صادف زادا وحديثا ما اشتهى

إن الحديث جانب من القرى[٥].

(١) ينظر ديوان الأدب ٦٠/٣ والصحاح (ح ق ق) وغريب القرآن للسجستاني/١٩٧وتفسير البغوي ١٤٤/٥.

(٢) الطارق/١.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٥٢٣.

(٤) العين ٩٨/٥ باب القاف والطاء مع الراء.

(٥) لم أقف على هذا الرجز في ديوان الشماخ بن ضرار، وهو دون عزو في غريب الحديث لأبن قتيبة ٢٩٥/١ .

وإنما سمي النجم: الطارق؛ لأنه يطلع بالليل. قال الله تعالى: "وَالسَّمَاءِ والطَّارِقِ * ومَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ")[١].

الغاشية

(الْغَاشِيَةِ: القيامة؛ لأنها تَغْشاهم)[٢]

هذا النص يرمز إلى أن علة تسمية القيامة بالغاشية هي من باب التسمية بالفعل، فالقيامة تغشى الناس، أي تغطيهم بهولها. فسُمِّيت غاشية من باب تسمية الشيء بفعله.

وعن ابن فارس: (الْغَيْنُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. يُقَالُ غَشَّيْتُ الشَّيْءَ أُغَشِّيهِ. وَالْغِشَاءُ: الْغِطَاءُ. وَالْغَاشِيَةُ: الْقِيَامَةُ، لِأَنَّهَا تَغْشَى الْخَلْقَ بِإِفْزَاعِهَا. وَيُقَالُ: رَمَاهُ اللَّهُ بِغَاشِيَةٍ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ كَأَنَّهُ يَغْشَاهُ. وَالْغِشْيَانُ: غِشْيَانُ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ)[٣]

وقال الأزهري: (وَقيل للقيامة: غاشيةٌ، لِأَنَّهَا تَعُمُّ الخلْقَ أجمعينَ)[٤].

الغَفْرُ – المِغْفَرُ – الغفور

(ومن صفاته: الغفور، وهو من غَفَرت الشيء": إذا غَطَّيتهَ. كما يقال: "كَفَرْتُه": إذا غطَّيْته.

ويقال: كذا أَغْفَرُ من كذا؛ أي: أستَرُ. وغَفْرُ الخَزِّ والصوف ما علا فوق الثوب منها كالزِّئْبِر سُمِّيَ "غَفْرًا"؛ لأنه ستر الثوب ...ويقال لجُنَّةِ الرأس:

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه/٣٤٢، ٣٤٣وينظر معاني القرآن للفراء ٢٥٤/٣، والجمهرة ٧٥٦/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١١/٥، وغريب القرآن للسجستاني/٣٢٠، والتهذيب ٩/٩، والمخصص ٣٨٣/٢، والبحر المحيط ٤٤٨/١٠، والدر المصون ٧٥١/١٠.

(٢) تفسير غريب القرآن/٥٢٥.

(٣) المقاييس: (غ ش ي).

(٤) تهذيب اللغة ١٤٥/٨ باب الغين والشين من الثلاثي المعتل.

"مِغفرٌ"؛ لأنها تستر الرأس. فكأن "الغفور": الساترُ لعبده برحمته، أو الساترُ لذنوبه)[1].

أورد ابن قتيبة في هذا النص ثلاثة أسماء وعلل لتسميتها وهي: غَفْرُ الخَزِّ والصوف ما علا فوق الثوب منها، والمغفر: ما يستر الرأس، والغفور، وهو الله سبحانه الساترُ لعبده برحمته، أو الساترُ لذنوبه.

يعلل ابن قتيبة لتسمية ما يوضع على الثياب لِيُغَطِّي ما بها (غَفْرًا) بقوله: لأنه ستر الثوب، ولتسمية (المغفر) لأنها تستر الرأس، أما (الغفور) فهو الساتر لعباده برحمته، والساتر لذنوبهم، فالأسماء الثلاثة من مادة واحدة وهي (غ ف ر) وهي تدور حول معنى واحد وهو التغطية والستر، وعلى هذا فَعِلَّةُ التسمية في هذه الأسماء تعود إلى الفعل. فهي من باب تسمية الشيء بفعله.

ومما يدل على صحة ما ذكره ابن قتيبة قول ابن فارس: (الْغَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ عُظْمُ بَابِهِ السَّتْرُ، ثُمَّ يَشِذُّ عَنْهُ مَا يُذْكَرُ. فَالْغَفْرُ: السَّتْرُ. وَالْغُفْرَانُ وَالْغَفْرُ بِمَعْنًى. يُقَالُ: غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ غَفْرًا وَمَغْفِرَةً وَغُفْرَانًا. قَالَ فِي الْغَفْرِ:

فِي ظِلِّ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَهُ ... مَلِكِ الْمُلُوكِ وَمَالِكِ الْغَفْرِ[2]

وَيُقَالُ: غَفِرَ الثَّوْبُ، إِذَا ثَارَ زِئْبِرُهُ. وَهُوَ مِنَ الْبَابِ، لِأَنَّ الزِّئْبِرَ يُغَطِّي وَجْهَ الثَّوْبِ. وَالْمِغْفَرُ مَعْرُوفٌ. وَالْغِفَارَةُ: خِرْقَةٌ يَضَعُهَا الْمُدَّهِنُ عَلَى هَامَتِهِ. وَيُقَالُ الْغَفِيرُ: الشَّعْرُ السَّائِلُ فِي الْقَفَا. وَذُكِرَ عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ أَنَّهَا قَالَتْ لِابْنَتِهَا: " اغْفِرِي غَفِيرَكِ "، تُرِيدُ: غَطِّيهِ. وَالْغَفِيرَةُ: الْغُفْرَانُ أَيْضًا. قَالَ:

يَا قَوْمُ لَيْسَتْ فِيهِمُ غَفِيرَهْ)[3]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص١٤، ١٥.

(٢) البيت من بحر الكامل ولم أقف عليه عند غير ابن فارس.

(٣) المقاييس (غ ف ر) والرجز لصخر الغي في المحكم ٥/٥٠٠ وأساس البلاغة ولسان العرب وتاج العروس (غ ف ر) وبعده : فَامْشُوا كَمَا تَمْشِي جِمَالُ الحِيرَهْ.

وكذلك ما قَالَه (أَبُو عبيد: فِي حَدِيث عُمَر ﷺ أَنه لما حصّب الْمَسْجِد قَالَ لَهُ فلَان: لم فعلت هَذَا، قَالَ: هُوَ أَغفر للنُخامة وألين فِي الموطى. قَالَ أَبُو عبيد: قَالَ الْأَصْمَعِي: قَوْله: أغفَر للنُخامة، يَعْنِي أَنه أستر لَهَا وأشدّ تَغطِيةً. وَالْأَصْل فِي الغَفْر التَغْطِية وَمِنْه سمّي المِغْفَرُ لِأَنَّهُ يَغفِر الرأسَ أَي يلْبسهُ ويُغَطّيه. قَالَ: وَالْمَغْفِرَة من الذُّنُوب كَذَلِك أَيْضا إنّما هُوَ إلباس الله الناسَ الغُفرانَ وتغمّدهم بِهِ)[1].

ويقول الأزهري: (أصل الغفْر: السّتر والتغطية، وَغفر الله ذنوبَه: أَي سَترها وَلم يَفْضَحهُ بهَا على رُؤُوس الْمَلأ. وكلُّ شَيْء سترتَه فقد غفرتَه، وَمِنْه قيل للَّذي يكون تحتَ بيْضة الْحَدِيد على الرَّأْس مغفر)[2].

القارعة

(الْقَارِعَةُ: القيامة؛ لأنها تَقْرَع الخلائقَ بأحوالها وأفزاعها. ويقال: أصابتْهم قوارعُ الدهر)[3].

في هذا النص يرادف ابن قتيبة بين القيامة والقارعة، ثم يعلل لتسمية القيامة بالقارعة، بقوله:" لأنها تقرع الخلائق بأحوالها وأفزاعها ". وهو بهذا يرمز إلى أن التسمية جاءت عن طريق تسمية الشيء بفعله، فالقارعة مشتقة من القَرْع، (والقرع: مصدر قَرَعْتُ الْإِنْسَان والدابّة بالعصا أقرَعه قَرْعاً)[4].

ومعنى القارعة فِي اللُّغَة: (النَّازِلَة الشَّدِيدَة تنزِل عَلَيْهِم بأمرٍ عَظِيم)[5].

ومما يدل على صحة ما ذكره ابن قتيبة قول ابن فارس :(الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ مُعْظَمُ الْبَابِ ضَرْبُ الشَّيْءِ. يُقَالُ: قَرَعْتُ الشَّيْءَ أَقْرَعُهُ: ضَرَبْتُهُ. وَمُقَارَعَةُ الْأَبْطَالِ: قَرْعُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

(١) غريب الحذيث لأبي عبيد ٣٤٨/٣.
(٢) التهذيب ١١٢/٨ باب الغين والراء مع الفاء.
(٣) تفسير غريب القرآن/٥٣٧.
(٤) الجمهرة ٧٦٩/٢ (ق رع).
(٥) التهذيب ١٥٧/١ باب العين والقاف مع الراء.

وَالْقَرِيعُ: الْفَحْلُ؛ لِأَنَّهُ يَقْرَعُ النَّاقَةَ. وَالْإِقْرَاعُ وَالْمُقَارَعَةُ: هِيَ الْمُسَاهَمَةُ. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا شَيْءٌ كَأَنَّهُ يُضْرَبُ. وَقَارَعْتُ فُلَانًا فَقَرَعْتُهُ، أَيْ: أَصَابَتْنِي الْقُرْعَةُ دُونَهُ. وَالْقَارِعَةُ: الشَّدِيدَةُ مِنْ شَدَائِدِ الدَّهْرِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُقْرِعُ النَّاسَ، أَيْ تَضْرِبُهُمْ بِشِدَّتِهَا. وَالْقَارِعَةُ: الْقِيَامَةُ، لِأَنَّهَا تَضْرِبُ وَتُصِيبُ النَّاسَ بِإِقْرَاعِهَا)[1].

وقول البغوي: (الْقارِعَةُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ)[2] وكذلك ما ورد عن أبي حيان: (قَالَ الْجُمْهُورُ: الْقارِعَةُ: الْقِيَامَةُ نَفْسُهَا، لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِهَوْلِهَا. وَقِيلَ: صَيْحَةُ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ، لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ الْقُلُوبُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ النَّارُ ذَاتُ التَّغَيُّظِ وَالزَّفِيرِ)[3].

وزير

(وَازَرْتُه: صرت له وزيرًا. وأصل الوَزَارَة والوَزِارَة من الوِزْر –وهو الحِمْل –كأن الوزير يحمل عن السلطان الثِّقْل)[4].

يشير ابن قتيبة في هذا النص إلى علة تسمية الوزير بهذا الاسم، ويرى أن الاسم جاء عن طريق الفعل، فالوِزْر: هو الحِمْل، والوزير يحمل عن السلطان الثِّقْل، فاللفظة في أصل وضعها للمحسات ثم انتقلت للمعنويات.

وقد أيَّدَ هذا القول كثير من اللغويين، فقال ثعلب: (الوزر: كل ما احتمل الرجل على ظهره.

(١) مقاييس اللغة: (ق رع).
(٢) تفسير البغوي ٢٩٧/٥.
(٣) البحر المحيط ٥٣٢/١٠ وينظر التهذيب ١٥٧/١، والمحكم ١٩٩/١، وشمس العلوم ٥٤٣٦/٨ ولسان العرب (ق ر ع).
(٤) تفسير غريب القرآن/٢٧٨.

وإنما سمى الوزير وزيراً لأنه يحمل أثقال صاحبه، وهو هاهنا حمل الإثم)[1] وذهب ابن فارس إلى أن الواو والزاي والراء تدور حول هذا المعنى فقال: (الْوِزْرُ: حِمْلُ الرَّجُلِ إِذَا بَسَطَ ثَوْبَهُ فَجَعَلَ فِيهِ الْمَتَاعَ وَحَمَلَهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الذَّنْبُ وِزْرًا. وَكَذَا الْوِزْرُ: السِّلَاحُ، وَالْجَمْعُ أَوْزَارٌ. قَالَ الْأَعْشَى:

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا ... رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورًا[2]

وَالْوَزِيرُ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الثِّقَلَ عَنْ صَاحِبِهِ)[3].

واتفق معهم كذلك ابن دريد، وابن الأنباري، والسجستاني، والبغوي، والزمخشري في أحد قوليه، وابن عطية[4].

وهناك من يرى أن الوزير مشتق من الوَزَر –بفتح الواو والزاي– ومعناه: الملجأ والملاذ، فقد جاء في الجمهرة: (وَكَانَ الْأَصْمَعِي يَقُول: اشتقاق الْوَزير من آزَرَه، وَكَانَ فِي الأَصْل أزير فَقَالُوا: وَزِير)[5] ويقول الزجاج: (الوزير في اللُّغَةِ الذي يُرْجَعُ إليه وُيتَحَصَّنُ برأْيِهِ، والوَزَرُ ما يلتجأ إليه، ويُعْتَصَمُ بِهِ، ومنه قوله: {كَلا لا وَزَرَ}[6] أي لاَ مَلْجَأ يومَ القيامَةِ ولا مَنْجا إلا لمن رحم اللَّه ﷻ) وبهذا الرأي قال النحاس، والزمخشري في أحد قوليه[7] وهذا التعليل – أيضا– من باب التسمية بالفعل. والتعليلان على درجة واحدة من القبول.

❁❁❁❁❁

(١) مجالس ثعلب/٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) البيت من بحر المتقارب، وهو في ديوانه /٩٩.

(٣) مقاييس اللغة: (وزر).

(٤) الجمهرة ٧١٢/٢ باب الراء والزاي مع الواو، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢٠٧/١، وغريب القرآن للسجستاني/٤٨٣، والبغوي ٢٦١/٣، والكشاف ٦١/٣والمحرر الوجيز ٤٢/٤.

(٥) الجمهرة ٧١٢/٢ باب الراء والزاي مع الواو.

(٦) القيامة/١١.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٦٧/٤، وإعراب القرآن للنحاس ١١١/٣، والكشاف ٦١/٣.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الرابع
التسمية بالوظيفة

الملائكة

(الملائكة من الألُوك. وهي الرسالة. وهي المأْلُكَة والمأْلَكَة، ومنه قالت الشعراء: أَلِكْنِي. أي أرسلني. وبمعنى كن رسولي)[١].

في هذا النص يلمح ابن قتيبة إلى علة تسمية الملائكة بهذا الاسم، فالملائكة من (أ ل ك) بمعنى أرسل، وبما أن الملائكة هم رسل الله المكلفون بمهام خاصة فمن هنا سموا ملائكة، يعني مرسلين. ويعد ذلك من باب تسمية الشيء بوظيفته.

ويؤكد الخليل ذلك فيقول: (الألُوكُ: الرسالة، وهي الْمَأْلُكَةُ، على مفعلة، سميت أَلُوكاً؛ لأنها تؤلك في الفم، من قولهم: يَأْلُكُ الفرس اللجام، أي: يَعْلُكُهُ. قال:

أَلِكْنِي يا عتيق إليك قولاً ... ستهديه الرواة إليك عني)[٢]

ويدعمه قول ابن السكيت: (المَلَكُ: الواحدُ من الملائكة، وأصله مَلَأَك بالهمز، فتُرك همزُه، وهو مأخوذ من الألوك، والمألَكة، والمأْلُكةِ، وهي الرسالة، قال الشاعر:

فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلْأَكٍ ... تنزل من جو السماء يصُوبُ)[٣]

وبمثله قال الزجاج، والجوهري، وابن فارس.[٤]

---

(١) تفسير غريب القرآن/٢٣.

(٢) العين ٤٠٩/٥ والبيت من بحر الوافر دون عزو في لسان العرب وتاج العروس (أ ل ك).

(٣) إصلاح المنطق/٥٩، والبيت من بحر الطويل عزاه ابن الأنباري في الزاهر ٢٥٥/٢ لعلقمة بن عبده وفي لسان العرب وتاج العروس (ص و ب) بعد ذِكْرِ البيت: قَالَ ابْنُ بَرِّيّ: البيتُ لرجلٍ مِنْ عبدِ الْقَيْسِ يمدَحُ النُّعْمانَ؛ وَقِيلَ: هُوَ لأَبي وجزَةَ يَمْدَحُ عبدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبير؛ وَقِيلَ: هُوَ لعَلْقَمَة بْنِ عَبْدَة.

(٤) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٢/١، والصحاح، والمقاييس (أ ل ك).

الخُطَّاف

{يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}[1]: يَذْهَب بها. وأصل الاختطاف: الاستلاب، يقال: اختطف الذئب الشاة من الغنم. ومنه يقال لما يخرج به الدَّلْوُ: خُطَّافٌ؛ لأنه يَخْتَطِفُ ما عَلِقَ به)[2].

يشير ابن قتيبة إلى المناسبة بين لفظ (خُطَّاف) وبين مدلوله، والعلاقة بينهما وهي – كما ألمح–علاقة مجازية، وتسمية للآلة بوظيفتها وهي الخطف.

وقد ذكر ابن فارس أن المادة تدور حول هذا المعنى فقال: (الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ اسْتِلَابٌ فِي خِفَّةٍ. فَالْخَطْفُ الِاسْتِلَابُ. تَقُولُ. خَطِفْتُهُ أَخْطَفُهُ، وَخَطَفْتُهُ أَخْطِفُهُ. وَبَرْقٌ خَاطِفٌ لِنُورِ الْأَبْصَارِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) وَالشَّيْطَانَ يَخْطِفُ السَّمْعَ: إِذَا اسْتَرَقَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ}[3].

وَيُقَالُ لِلشَّيْطَانِ: " الْخَطَّافُ "، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الِاسْمُ فِي الْحَدِيثِ... وَجَمَلٌ خَيْطَفٌ: سَرِيعُ الْمَرِّ. وَتِلْكَ السُّرْعَةُ الْخَيْطَفَى. قَالَ:

وَعَنَقًا بَاقِي الرَّسِيمِ خَيْطَفًا[4]

وَبِهِ سُمِّي الْخَطَفَى، وَالْأَصْلُ فِيهِ وَاحِدٌ، لِأَنَّ الْمُسْرِعَ يَقِلُّ لُبْثُ قَوَائِمِهِ عَلَى الْأَرْضِ، فَكَأَنَّهُ قَدْ خَطِفَ الشَّيْءَ. وَيُقَالُ: هُوَ مُخْطَفُ الْحَشَا، إِذَا كَانَ مُنْطَوِيَ الْحَشَا. وَذَلِكَ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ كَأَنَّ لَحْمَهُ خُطِفَ مِنْهُ فَرَقَّ وَدَقَّ...وَالْخُطَّافُ: طَائِرٌ، وَالْقِيَاسُ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ يَخْطَفُ الشَّيْءَ بِمِخْلَبِهِ. يُقَالُ لِمَخَالِيبِ السِّبَاعِ: خَطَاطِيفُهَا، قَالَ:

---

(١) البقرة/٢٠.

(٢) تفسير غريب القرآن/٤٢.

(٣) الصافات/١٠.

(٤) شطر من الرجز لحذيفة بن بدر اليربوعي، في نوادر المخطوطات ٣٠٦/٢ وقبله:

يرفعنَ باللَّيلِ إذا ما أسدفاَ ... أعناقَ جنَّانٍ وهاماً رجفًّا

إِذَا عَلِقَتْ قِرْنًا خَطَاطِيفُ كَفِّهِ ... رَأَى الْمَوْتَ بِالْعَيْنَيْنِ أَسْوَدَ أَحْمَرَا(١)

وَالْخُطَّافَ: حَدِيدَةٌ حَجْنَاءُ؛ لِأَنَّهُ يُخْتَطَفُ بِهَا الشَّيْءُ، وَالْجَمْعُ خَطَاطِيفُ. قَالَ النَّابِغَةُ:

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ ... تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ(٢)

وقد ذكر هذا المعنى وهذه المناسبة علماء اللغة وكثير من المفسرين(٣).

الغمد

أورد ابن قتيبة في معرض حديثه عن مشتقات (غ ف ر) الدالة على التغطية والستر قوله: (ونحوٌ منه قولهم: "تَغَمَّدْني برحمتك"؛ أي: ألبِسْني إياها. ومنه قيل: "غِمْدُ السيف"؛ لأنه يُغمد فيه، أي: يُدخل)(٤).

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية جفن السيف غمدًا فهو يرى أنه مأخوذ من قولهم: "تَغَمَّدْني برحمتك"؛ أي: ألبِسْني إياها. فلذلك قيل: "غِمْدُ السيف"؛ لأنه يُغمد فيه، أي: يُدخل. فهو من باب تسمية الشيء بوظيفته.

ويؤكد ذلك ما ورد عن أئمة اللغة، حيث قال الخليل: (أَغْمَدْتُ السَّيفَ: أَدخلتُه في غِمْدِه، أي في غِلافِه وغِمادِه ومَغْمِده وتَغَمَّدتَ فلاناً: أخذته بختلٍ حتى تغطيهِ، وتغمده الله وبرحمته: غمره فيها وغطَاه)(٥) وورد عن الجوهري:

---

(١) البيت من بحر الطويل لأبي زبيد يصف الأسد (غريب الحديث لأبي عبيد ٤٨٠/٣، وتهذيب اللغة ٣٨/٥).

(٢) المقاييس: (خ ط ف).

(٣) ينظر العين/ باب الثلاثي الصحيح – الخاء مع الطاء والفاء–والجمهرة باب الخاء والطاء والفاء، ولسان العرب (خ ط ف)، والمحرر الوجيز ١٠٣/١، وزاد المسير ٤١/١، والقرطبي ٢٢٢/١.

(٤) تفسير غريب القرآن/ ١٥.

(٥) العين ٣٩٥/٤، ٣٩٦.

(تَغَمَّدَهُ الله برحمته: غمره بها. وتَغَمَّدتُ فلاناً: سترت ما كان منه وغطيته)[1] أما ابن فارس فقال: (الْغَيْنُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةٍ وَسَتْرٍ. مِنْ ذَلِكَ الْغِمْدُ لِلسَّيْفِ: غلَافُهُ، يُقَالُ: غَمَدْتُهُ أَغْمِدُهُ غَمْدًا. وَيُقَالُ: تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، كَأَنَّهُ يَغْمُرُهُ بِهَا. وَتَغَمَّدْتُ فُلَانًا: جَعَلْتَهُ تَحْتَكَ حَتَّى تُغَطِّيَهُ)[2].

الغمام

(الْغَمَامَ: السحاب، سُمِّي بذلك؛ لأنه يغُمُّ السماءَ، أي: يسترها، وكُلُّ شيءٍ غطيته فقد غممتَه)[3].

يرادف ابن قتيبة في هذا النص بين (الغمام) و(السحاب) ثم يعلل لتسمية السحاب غمامًا بقوله: (لأنه يغُمُّ السماءَ، أي: يسترها) فالتغمية: هي الستر. وفي هذا المعنى يقول الخليل: (الغَمَى: سَقْفُ البَيْت، وقد غَمَّيْت البيت تغمية: إذا سَقَفْته. وغَمَّيْتُ الإناءَ: غطَّيْتُهُ. وأُغْمِيَ يومنا، أي: دام غَيْمُهُ. ولَيْلةٌ مُغْماةٌ: غُمَّ هلالها) وبمثله قال ابن فارس[4].

وابن قتيبة في نصه السابق يرمز إلى أن علة التسمية مردها إلى الوظيفة التي يقوم بها السحاب، وهي: الستر.

ومما يدل على صحة ما ذكره ابن قتيبة، ويدعم رأيه ما ورد عن اللغويين، أمثال: الحميري، واللبلي، وابن منظور، والزبيدي. والمفسرين أمثال: الطبري، والثعلبي، والجوزي، والقرطبي، وأبي حيان، والسمين الحلبي.[5] أما

---

(١) الصحاح (غ م د).

(٢) المقاييس (غ م د).

(٣) تفسير غريب القرآن/ ص٤٩.

(٤) العين ٤٥٥/٤ باب الغين والميم من الثلاثي المعتل.

(٥) شمس العلوم ٤٨٧٦/٨، وتحفة المجد الصريح من كتاب الفصيح/٣٣٩، ولسان العرب (غ م م)، وتاج العروس ١٨١/٣٣(غ م م)، وجامع البيان للطبري ت شاكر ٩٠/٢، والكشف والبيان ١٢٨/٢، وزاد المسير ٦٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٤٠٥/١، والبحر المحيط ٣٣١/١، والدر المصون ٣٦٩/١.

الثعالبي فخالف ابن قتيبة في جَعْل الغمام مرادفا للسحاب، فقد جعله طورًا يأتي بعد السحاب فقال: (الغَمام: الغَيْم الأَبيض، وَإِنَّمَا سُمِّيَ غَمَامًا؛ لأَنه يَغُمُّ السَّمَاءَ، أَيْ: يَسْتُرُهَا. أَوَّلُ مَا يَنْشَأُ السَّحابُ فَهُوَ النَّشْءُ. فإذا انْسَحَبَ في الهَوَاءِ فَهُوَ السَّحابُ. فإذا تَغَيَّرَتْ له السّماء فَهُوَ: الغَمَامُ)[1].

القرآن

(القُرْآن) من قولك: ما قرأت الناقة سَلًى قَطُّ، أي: ما ضَمَّت في رحمها ولدًا، وكذلك ما قرأت جنينا. وأنشد أبو عُبَيْدة:

.... **هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا**

وقال- في قوله: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}[2] -أي: تأليفه. قال: إنما سمي قرآنا؛ لأنه جمع السور)[3].

هذا النص يشير فيه ابن قتيبة إلى سبب تسمية كتاب الله (قرآناً) لأنه جمع السور وضمها، فهو يرمز إلى أن علة تسمية كتاب الله قرآنا جاءت عن طريق وظيفته، لكون القرآن جامعٌ للأحكام، والقصص، والآيات، والسور، فيعد ذلك من وظائفه.

ويؤكد ذلك ما ذكره ابن فارس حين قال: (الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جُمَعٍ وَاجْتِمَاعٍ. مِنْ ذَلِكَ الْقَرْيَةُ، سُمِّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا... وَإِذَا هُمِزَ هَذَا الْبَابُ كَانَ هُوَ وَالْأَوَّلُ سَوَاءً. يَقُولُونَ: مَا قَرَأَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ سَلًى، كَأَنَّهُ يُرَادُ أَنَّهَا مَا حَمَلَتْ قَطُّ. قَالَ:

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ ... هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا[4]

(١) فقه اللغة وسر العربية/١٨٩.
(٢) القيامة /١٧.
(٣) تفسير غريب القرآن ص٣٣.
(٤) بيت من الوافر من معلقة عمرو بن كلثوم في ديوانه /٦٨ وجمهرة اللغة ٢٨٤/١. والتهذيب ٩٨/٢ولسان العرب (ع ط ل) و (هـ ج ن).

قَالُوا: وَمِنْهُ الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ)[١].

(قَالَ أَبُو إِسْحَاق الزّجاج: يسمَّى كلامُ الله الَّذِي أنزلهُ على نبيه ﷺ: كِتاباً، وقرآناً، وفُرقاناً، وذِكْراً. قَالَ: وَمعنى قُرْآن معنَى الْجمع. يُقَال: مَا قرأتْ هَذِه الناقةُ سَلًى قطُّ، إِذا لم يضطمّ رَحِمُها على الولَدِ)[٢].

وقد اتفق المفسرون مع ما قاله اللغويون، فقد ورد عنهم " القرآن أصله من القَرْيِ، وهو: ضم ما كان متفرقاً، ومنه: ما قرأت الناقة سلا قط، أي ما لم تضمه إلى نفسها ولم تجمعه في رحمها، ولا يتناول إلا على المنزل على محمد ﷺ والكتاب عام، والفرقان قيل إنه يتناول القرآن والتوراة–إن قيل: فلم سمي بذلك؟ قيل: إما بالنظر الحلال، فلأنه جامع للسور والأيام، وإما على نظر أدق من ذلك، فلأنه جمع فيه كل شيء محتاج إليه الناس من أمر معاشهم ومعادهم مما يتبلغون به إلى الآخرة، ولهذا قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[٣]. وقال: {وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ})[٤].

الكفار –الزراع

(الكُفْرُ في اللغة: من قولك: كَفَرْتُ الشيءَ: إذا غَطَّيته. يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول الله ﷻ: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}[٥] يريد بالكُفَّار الزُّرَّاع.

سمّاهم كفّارًا: لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفَرُوه أي: غطوه وستروه، فكأن الكافر ساتر للحق وساتر لنعم الله ﷻ)[٦].

---

(١) المقاييس باب القاف والراء وما يثلثهما.

(٢) تهذيب اللغة باب القاف والراء ٢٠٩/٩.

(٣) الأنعام/٣٨.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني ٣٩٢/١، وينظر المحرر الوجيز ٥٦/١، والآية رقم/ ١١١ من سورة يوسف.

(٥) الحديد/٢٠.

(٦) تفسير غريب القرآن ص٢٨.

في هذا النص يشير يرادف ابن قتيبة بين(الزراع) و(الكفار)، فاللفظان مدلولهما واحد هو ممارسة مهنة الزراعة، وهي متحققة في (الزراع) بالاشتقاق، وفي (الكفار) بالوصف، ذلك لأن مادة (كفر) تعني التغطية والستر، وهي متحققة في الزراعة حيث تغطية البذر وستره، وقد علل ابن قتيبة لتسمية الزراع كفارًا من باب تسمية الشيء بوظيفته.

ومما يؤيد كلام ابن قتيبة قول ابن فارس: (الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا(١)

فَيُقَالُ: إِنَّ الْكَافِرَ: مَغِيبُ الشَّمْسِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْكَافِرُ: الْبَحْرُ. وَكَذَلِكَ فُسِّرَ قَوْلُ الْآخَرِ:

فَتَذَكَّرَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَمَا ... أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ(٢)

وَالنَّهْرُ الْعَظِيمُ كَافِرٌ، تَشْبِيهٌ بِالْبَحْرِ. وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} (٣). وَرَمَادٌ مَكْفُورٌ: سَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ عَلَيْهِ حَتَّى غَطَّتْهُ. قَالَ:

قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورْ

وَالْكُفْرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ: جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا.

وَالْكَافُورُ: كِمُّ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُنَوِّرَ. وَسُمِّيَ كَافُورًا لِأَنَّهُ كَفَرَ الْوَلِيعَ، أَيْ غَطَّاهُ. قَالَ: كَالْكَرْمِ إِذْ نَادَى مِنَ الْكَافُورِ وَيُقَالُ لَهُ الْكُفُرَّى. فَأَمَّا الْكَفِرَاتُ وَالْكَفَرُ

---

(١) بيت من الكامل للبيد في ديوانه /١٧٦، وإصلاح المنطق /٩٩، ٢٤٠، وغريب الحديث لأبي عبيد ١٣/٣.

(٢) البيت لثعلبة بن صُعَير المازني في إصلاح المنطق /٢٩٤، والكنز اللغوي / ٥١ والألفاظ /٢٨٢والزاهر لابن للأنباري ٢٦٠/١ وهو من بحر الكامل.

(٣) الحديد/٢٠.

فَالثَّنَايَا مِنَ الْجِبَالِ، وَلَعَلَّهَا سُمِّيَتْ كَفِرَاتٍ، لِأَنَّهَا مُتَطَامِنَةٌ، كَأَنَّ الْجِبَالَ الشَّوَامِخَ قَدْ سَتَرَتْهَا. قَالَ:

.... **تَطَلَّعُ رَيَّاهُ مِنَ الْكَفِرَاتِ**(١)

وَالْكَفْرُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا بَعُدَ مِنَ النَّاسِ، لَا يَكَادُ يَنْزِلُهُ وَلَا يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ. وَمَنْ حَلَّ بِهِ فَهُمْ أَهْلُ الْكُفُورِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْكُفُورُ: الْقُرَى. جَاءَ فِي الْحَدِيثِ " «لِتُخْرِجَنَّكُمُ الرُّومُ مِنْهَا كَفْرًا كَفْرًا»)(٢).

وقد ربط هذا الربط بين اللفظ والمعنى كثير من المعجميين، فها هو ذا الخليل بن أحمد يقول: (الرجل يكْفِرُ درعه بثوب كَفْراً، إذا لبسه فوقه، فذلك الثوب كافِر الدرع. والكافر: الليل والبحر، ومغيب الشمس. وكل شيء غطى شيئاً فقد كَفَرهُ. والكافِرُ من الأرض: ما بعد عن الناس، لا يكاد ينزله أحد، ولا يمر به أحد، ومن حلها يقال: هم أهل الكُفُور)(٣) أما ابن دريد فقال: (أصل الكُفْر التغطية على الشَّيْء والستر لَهُ، فَكَأَن الْكَافِر مغطى على قلبه، وأحسب أَن لَفظه لفظ فَاعل فِي معنى مفعول. وكَفَرَ فلَان النعمةَ، إِذا لم يشكرها، يكفُرها كَفْراً فَهُوَ كَفُور. والكافور: وعَاء الطَّلْع ، وَهُوَ الكَفَر والكُفرَّى أَيْضا. وَقَالَ بعض أهل اللُّغَة: وعَاء كل شَيْء كافوره)(٤).

أما المفسرون فتناولوا اللفظ ومدلوله عند تفسيرهم لآية الحديد وقالوا: (اختلف المتأولون في لفظة الْكُفَّارَ هنا، فقال بعض أهل التأويل: هو من الكفر بالله، وذلك لأنهم أشد تعظيما للدنيا وأشد إعجابا بمحاسنها. وقال آخرون منهم:

---

(١) عجز بيت من الطويل لعبدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ في لسان العرب (ك ف ر) والبيت بتمامه:

لَهُ أَرَجٌ مِنْ مُجْمِرِ الهِنْدِ ساطِعٌ، ... تُطَلَّعُ رَيَّاهُ مِنَ الكَفِراتِ

(٢) المقاييس، والمجمل باب الكاف والفاء وما يثلثهما.

(٣) العين ٣٥٧/٥ باب الكاف والراء والفاء معهما.

(٤) الجمهرة – باب الراء والفاء مع ما بعدهما من الحروف، وينظر تهذيب اللغة – باب الكاف والراء، المحكم ٣/٧، وغريب الحديث للقاسم بن سلام ١٣/٣، ١٤، والصحاح، وأساس البلاغة، ولسان العرب وتاج العروس (ك ف ر).

هو من كفر الحب، أي ستره في الأرض، فهم الزراع وخصهم بالذكر، لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة، الذي لا عيب له)[١].

كُمُّ

{وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا}[٢] (أي من المواضع التي كانت فيها مستترةً. وغِلاف كل شيء: كُمَّتُه. وإنما قيل: كُمُّ القميص؛ من هذا)[٣].

يعلل ابن قتيبة في هذا النص لتسمية كم القميص – وهوما يواري اليدين –بهذا الاسم حيث يرى أن التسمية جاءت على سبيل الوظيفة، فغلاف كل شيءً كمه، فجعل ما يستر اليدين كالغلاف له.

ويؤكد ذلك ما ذكره الزجاج حيث قال: (معنى الأكمام: ما غَطَّى، وكل شجرة تخرج ما هو مُكَمَّم فهي ذات أَكمام وأَكمامُ النخلة ما غَطى جُمّارَها من السَّعَف والليف والجِذْع وكلُّ ما أَخرجته النخلة فهو ذو أَكمام فالطَّلْعة كُمُّها قشرها ومن هذا قيل للقَلَنْسُوة كُمَّة لأنها تُغَطِّي الرأْس ومن هذا: كُمّا القميص لأنهما يغطيا اليدين)[٤].

ويقول الخليل: (الكُمُّ: كُمُّ القميص. والكُمَّةُ: من القلانس. والكِمامُ: شيء يجعل في فم البعير أو البرذون لئلا يعض. والكُمُّ: الطلع. لكل شجرة كم وهو

(١) المحرر الوجيز ٢٦٧/٥، وينظر الثعلبي ٢٤٤/٩ وتفسير الماتريدي ٣٢٠/٩، ٥٢٨/٩ والكشاف ٤٧٩/٤ وزاد المسير ٢٣٦/٤و تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٤٦٤/٢٩ والقرطبي ٢٥٥/١٧ وتفسير النسفي ٤٣٩/٣.

(٢) فصلت/٤٧.

(٣) تفسير غريب القرآن/٣٩٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩٧/٥ وينظر مجاز القرآن ١٩٨/٢، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي /١٣٥، والتهذيب ٣٤٣/٩(باب الكاف والميم)، والصحاح (ك م م)، وشمس العلوم ٥٧١٢/٩، والكشف والبيان ٢٩٩/٨، ١٧٨/٩، ١٧٩، والكشاف ٤٤٤/٤، والمحرر الوجيز ٢٢٥/٥.

برعومته. وقد كُمَّت النخلة كَمّاً وكُمُوماً، قال الله جل وعز: {وَالنَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ}(١).

{وَما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها}. قال لبيد:

نَخْلٌ كَوَارِعُ فِي خَلِيجٍ مُحَلَّمٍ ... حَمَلَتْ فَمِنْهَا مُوقِرٌ مَكْمُومُ(٢)

وقول العجاج:

بَلْ لَو شَهِدْتَ النَّاسَ إِذْ تَكَمُّوا)(٣)

النفير

{أَكْثَرَ نَفِيرًا}(٤) (أي أكثر عددًا. وأصله: مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته. والنَّفِيرُ والنَّافرُ واحد)(٥).

يشير ابن قتيبة بهذا إلى علة تسمية النفير –وهم الذّين إذا حَزَبَهُمْ أمر اجتمعوا ونفروا إلى عدوّهم – بهذا الاسم فيلمح إلى أنه من مأخوذ من النَّفْرِ، الدال على التجافي والتباعد، كأن النفير، أو النافر يتجافى ويتباعد عن موطنه وأهله إلى موطن الأعداء ليكون اللقاء. وعلى هذا تكون علة التسمية مبنية على الوظيفة، وهي النجدة، ونصرة الصحب والرفاق.

ومما يدل على صحة هذا التعليل قول ابن فارس: (النُّونُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَجَافٍ وَتَبَاعُدٍ. مِنْهُ نَفَرَ الدَّابَّةُ وَغَيْرُهُ نِفَارًا، وَذَلِكَ تَجَافِيهِ وَتَبَاعُدُهُ عَنْ مَكَانِهِ وَمَقَرِّهِ. وَنَفَرَ جِلْدُهُ: وَرِمَ. وَفِي الْحَدِيثِ: " «أَنَّ رَجُلًا تَخَلَّلَ بِالْقَصَبِ فَنَفَرَ فَمُهُ» "، أَيْ وَرِمَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ نِفَارِ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ وَتَجَافِيهِ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْجَلْدَ يَنْفِرُ عَنِ اللَّحْمِ لِلدَّاءِ الْحَادِثِ

(١) الرحمن/١١.

(٢) بيت من بحر الكامل في ديوانه /١٥٢.

(٣) العين ٢٨٦/٥ والشطر من الرجز في الصحاح ولسان العرب (غ م م) و(ك م م) وبعده: **بغُمَّةٍ لو لم تُفَرَّجْ غُمُّوا وتُكُمُّوا.**

(٤) الإسراء/٦

(٥) تفسير غريب القرآن/٢٥١

بَيْنَهُمَا. وَيَوْمُ النَّفْرِ: يَوْمَ يَنْفِرُ النَّاسُ عَنْ مِنَى. وَيَقُولُونَ: لَقِيتُهُ قَبْلَ صَيْحٍ وَنَفْرٍ، أَيْ قَبْلَ كُلِّ صَائِحٍ وَنَافِرٍ.

وَالْمُنَافَرَةُ: الْمُحَاكَمَةُ إِلَى الْقَاضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ، قَالُوا: مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُبْتَغَى تَفْضِيلُ نَفَرٍ عَلَى نَفَرٍ.

وَأَنْفَرْتُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ. وَالنَّفَرُ أَيْضًا مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ لِأَنَّهُمْ يَنْفِرُونَ لِلنُّصْرَةِ. وَالنَّفِيرُ: النَّفَرُ، وَكَذَا النَّفْرُ وَالنَّفْرَةُ: كُلُّ ذَلِكَ قِيَاسُهُ وَاحِدٌ. وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ فِي النَّفْرَةِ:

حَيَّتْكَ ثُمَّتَ قَالَتْ إِنَّ نَفْرَتَنَا ... الْيَوْمَ كُلُّهُمُ يَا عُرْوَ مُشْتَغِلُ)[1]

ويدل على صحة المعنى الذي ذكره ابن قتيبة قول الخليل: (النَّفَر: من الثّلاثة إلى العشرة. يُقال: هؤلاءِ عشرةُ نَفَر، أي: عشرة رجال، ولا يقال: عشرون نفراً، ولا ما فوقَ العَشَرة. وهؤلاء نَفَرُك، أي: رَهْطُك الذّين أنتَ منهم. والنَّفرُ النَّفير، والجماعةُ: أَنفار، وهم الذّين إذا حَزَبَهُمْ أمر اجتمعوا، ونفروا إلى عدوّهم، قال:

.... **ونَفرُ قَوْمِك في الأَنْفار مكتوبُ**)[2]

وكذلك قول ابن دريد: (النَّفير: الْقَوْم النافرون لِحَرْب أَو غَيرهَا. والمثل السائر: لَا أنتَ فِي العِيرِ وَلَا فِي النَّفيرِ، أَي لَا أَنْت فِي تِجَارَة وَلَا حَرْب)[3].

(١) المقاييس (ن ف ر).

(٢) العين ٢٦٧/٨ باب الراء والنون والفاء.

(٣) الجمهرة ٧٨٨/٢باب الراء والفاء والنون، وينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/٥، والبيضاوي ٢٤٨/٣، والبحر المحيط ١٥/٧.

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث الخامس
التسمية بالمجاز وعلاقته غير المشابهة

البث

(الْبَثُّ: أشد الحزن، سمي بذلك؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه، حتى يَبثَّه، أي: يشكوَه)[١].

في هذا النص يبين لنا ابن قتيبة المناسبة بين البث والحزن، وعلة تسميته بذلك، فهو يشير إلىتسمية الحزن بثًا بلازمه وهو النشر، فهو من باب المجاز الذي علاقته السببية، حيث إن عدم الصبر على الحزن سببٌ في نشره.

وقد ذكر أصحاب المعاجم أن الْبَثُّ: أشد الحزن دون تعليل لذلك[٢].

أما ابن فارس فذكر أن المادة ومشتقاتها تدور حول التفريق والإظهار، فقال: الْبَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَفْرِيقُ الشَّيْءِ وَإِظْهَارُهُ، يُقَالُ: بَثُّوا الْخَيْلَ فِي الْغَارَةِ. وَبَثَّ الصَّيَّادُ كِلَابَهُ عَلَى الصَّيْدِ.

قَالَ النَّابِغَةُ:

فَبَثَّهُنَّ عَلَيْهِ وَاسْتَمَرَّ بِهِ ... صُمْعُ الْكُعُوبِ بَرِيئَاتٌ مِنَ الْخَرَدِ[٣]

... قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: تَمْرٌ بَثٌّ، أَيْ: مُتَفَرِّقٌ لَمْ يَجْمَعْهُ كَنْزٌ. قَالَ: وَبَثَثْتُ الطَّعَامَ وَالتَّمْرَ: إِذَا قَلَّبْتَهُ وَأَلْقَيْتُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَبَثَثْتُ الْحَدِيثَ، أَيْ: نَشَرْتُهُ. وَأَمَّا الْبَثُّ مِنَ الْحُزْنِ فَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ شَيْءٌ يُشْتَكَى وَيُبَثُّ وَيُظْهَرُ)[٤].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٢٢٢.

(٢) ينظر المنجد/١٣٧، وغريب الحديث لأبي عبيد ٢٩٣/٢، والجمهرة ٦٣/١باب الباء والثاء، وديوان الأدب ٣/٣، والصحاح، ولسان العرب (ب ث ث) وفقه اللغة وسر العربية/٤٧، ١٣٠.

(٣) ديوانه /٥٠ والبيت من البسيط.

(٤) مقاييس اللغة: (ب ث ث).

وقد تطابق قول المفسرين مع ما ذكره ابن قتيبة، يقول الثعلبي: (البثّ: أشدّ الحزن، سمّي بذلك لأنّ صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثّه، أي: يظهره... قال ذو الرمّة:

وقفت على ربع لميّة ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد ممّا أبثّه ... تكلّمني أحجاره وملاعبه)[1]

وبناء على ما ورد عن أصحاب المعاجم، وعن المفسرين، يتبين لنا دقة ما ذهب إليه ابن قتيبة.

البذاء–السفه

(يقال: سَفِه فلانٌ رأيَه؛ إذا جَهِله. ومنه قيل للبَذَاء: سَفَهٌ؛ لأنه جهْل)[2].

يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية البذاء سفها حيث إن البذاء جهل، وإذا كان البذاء جهل فيصدق عليه التسمية (سفهًا) من باب تسمية الشيء باسم سببه، حيث إن الجهل يؤدي إلى السفه، وعن السفه يصدر البذاء.

ومما يدل على صحة التعليل الذي قال به ابن قتيبة ما ورد عن بعض المفسرين مثل قولهم: (السفيه: الجاهل، الضعيفُ الرأي، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع والمضارّ. ولذلك سمى الله ﷻ النِّساء والصبيانَ سفهاء، فقال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}[3] (فقال عامة أهل التأويل: هم النساء والصبيان، لضعف آرائهم، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضارِّ التي تصرف إليها الأموال)[4].

---

(١) الكشف والبيان ٢٥٠/٥ وينظر الكشاف ٤٩٩/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٥١/٩والبحر المحيط ٣١٥/٦ والبيتان في ديوانه /٢٦ وهما من الطويل.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٤١.

(٣) النساء/٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٩٣/١ وينظر تفسير الماتريدي ٣٨٦/١، وتفسير البغوي ٨٨/١، والكشاف ٤٧١/١، والمحرر الوجيز ٩/٢.

ولم يختلف علماء اللغة عما ذكره المفسرون، فقد قال ابن دريد: (السِّفَه: مَعْرُوف، وَأَصله الخِفّة والنّزَق. تسفّهت الريحُ الغصونَ: إذا حرّكتها، وتسفّهتِ الرماحُ فِي الْحَرْب: إذا اضْطَرَبَتْ. وَفِي التَّنْزِيل: {إلاّ مَن سَفِهَ نفسَه}[1] قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: خَسِرَها، وَالله أعلم. وسَفِهَ الرجلُ، أَي جَهِل)[2].

أما ابن فارس فقد قال: (السِّينُ وَالْفَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِفَّةٍ وَسَخَافَةٍ. وَهُوَ قِيَاسٌ مُطَّرِدٌ. فَالسَّفَهُ: ضِدُّ الْحِلْمِ. يُقَالُ ثَوْبٌ سَفِيهٌ، أَيْ: رَدِيءُ النَّسْجِ. وَيُقَالُ: تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ، إِذَا مَالَتْ.

قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيَاحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ الرَّوَاسِمِ[3]

وَفِي شِعْرِهِ أَيْضًا:

. . . . سَفِيهٍ جَدِيلُهَا[4]

يَذْكُرُ الزِّمَامَ وَاضْطِرَابَهُ)[5]

كما ذكر معنى البذاء فقال: (الْبَاءُ وَالذَّالُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خُرُوجُ الشَّيْءِ عَنْ طَرِيقَةِ الْإِحْمَادِ، تَقُولُ: هُوَ بَذِيءُ اللِّسَانِ، وَقَدْ بَذَأْتُ عَلَى فُلَانٍ أَبْذَأُ بُذَاءً. وَيُقَالُ: بَذَأْتُ الْمَكَانَ أَبْذَؤُهُ: إِذَا أَتَيْتَهُ فَلَمْ تُحْمِدْهُ)[6].

---

(١) البقرة/١٣٠

(٢) الجمهرة ٨٤٩/٢ باب السين والهاء مع ما بعدهما من الحروف

(٣) البيت في ديوانه /٢٦٢ برواية: (روايدًا كما اهتزت رِماحٌ ...) وهو من بحر الطويل.

(٤) كلمتان من بيت من الطويل في ديوانه /٢٤١ والبيت بتمامه:

وَأَبْيَضَ مُوشِيِّ القَمِيصِ نَصَبْتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلاتٍ سَفِيهٍ جَدِيلُهَا

(٥) المقاييس – باب السين والفاء وما يثلثهما من الثلاثي.

(٦) المقاييس – باب الباء والذال والهمز.

الجَبَّار

(الجَبَّار: الملِكُ، يسمَّى بذلك: لتجبُّره يقول: فلستَ عليهم بملك مسلَّط)[١].

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية الملك بالجبار، فالجبر: هو التسلط والإكراه، و(أَجْبَرْتُهُ على الأمر: أكرهته عليه)[٢] والملك متسلط على رعيته، فمن هنا رادف بين الجبار والملك، وسبيل ذلك هو المجاز، وملمح التعليل يرمز إلى تسميته بلازمه وهو التسلط والتجبر، فعلاقة المجاز هنا هي المسببية، حيث إن التَّجَبُّرَ لازم من لوازم الملك، ومسبب عنه.

وقد أكد ابن فارس هذا المعنى فقال: (الْجِيمُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعُلُوِّ وَالِاسْتِقَامَةِ. فَالْجَبَّارُ: الَّذِي طَالَ وَفَاتَ الْيَدَ، يُقَالُ فَرَسٌ جَبَّارٌ، وَنَخْلَةٌ جَبَّارَةٌ، وَذُو الْجُبُّورَةِ، والْجَبُّورَةِ، وَذُو الْجَبَرُوتِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ)[٣].

وما ذكره ابن قتيبة، قال به الفراء –عند بيان معنى هذه الآية–: (يَقُولُ: لست عليهم بمسلَّط، جعل الجبار فِي موضع السلطان من الجَبْريّة، قَالَ: أنشدني المفضل:

ويوم الحَزن إذ حشَدَت مَعدٌّ ... وكان الناسُ إلا نَحْنُ دينا

عصينا عزمةَ الجبار حَتَّى ... صبحنا الجوفَ ألفا مُعْلمينا

أراد بالجبار: المنذر لولايته)[٤].

وقد أشار إلى ذلك جَمْعٌ من اللغويين منهم الخليل، وأبو بكر الأنباري، والأزهري، والسجستاني، وابن سيده، وابن منظور، [٥] مما يؤكد قول ابن قتيبة ويقطع بصحته.

---

(١) تفسير غريب القرآن /٤١٩ وهذا النص يشير به إلى قوله تعالى:{ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} سورة ق/ ٤٥.

(٢) الصحاح: (ج ب ر).

(٣) مقاييس اللغة: (ج ب ر).

(٤) معاني القرآن للفراء ٨١/٣ والبيتان من الوافر، ولم أقف عليهما في المفضليات ولا في غيرها.

(٥) العين ١١٧/٦، والزاهر في معاني كلام الناس ٨٠/١، ٨١، والتهذيب ٤١/١١، وغريب القرآن للسجستاني/١٧٤، والمحكم ٤٠٦/٧، واللسان (ج ب ر).

حديقة

(الحَدَائِقُ: البساتينُ. واحدها: "حَدِيقَةٌ". سميت بذلك؛ لأنه يُحْدَقُ عليها، أي يُحْظَرُ عليها حائطٌ. ومنه قيل: حَدَّقْتُ بالقوم؛ إذا أحطت بهم)[1].

يعلل ابن قتيبة لتسمية البستان: حديقة؛ لأنه يحدق عليها، أي: يحاط عليها بسور، وهذا التعليل يدل على أن التسمية جاءت على سبيل المجاز، فهي تسمية للشيء بمجاوره.

ومما يؤكد هذا ما ذكره الخليل حيث قال: (الحديقةُ: أرضٌ ذاتُ شَجَر مُثْمِر، والجميع: الحَدائق. والحديقة من الرياض: ما أَحدَقَ بها حاجِزٌ أو أرضٌ مُرتفعة، قال عنترة:

.... **فَتَرْكَنَ كلَّ حَديقةٍ كالدِرْهَم**)[2]

وكذلك ابن فارس الذي يرى أن هذه المادة تعني: الإحاطة بين الأشياء فقال: (الْحَاءُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: الشَّيْءُ يُحِيطُ بِشَيْءٍ. يُقَالُ: حَدَقَ الْقَوْمُ بِالرَّجُلِ، وَأَحْدَقُوا بِهِ. قَالَ:

الْمُطْعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ ... بِيَ الْمَنِيَّةُ وَاسْتَبْطَأْتُ أَنْصَارِي

وَحَدَقَةُ الْعَيْنِ مِنْ هَذَا، وَهِيَ السَّوَادُ، لِأَنَّهَا تُحِيطُ بِالصَّبِيِّ ؛ وَالْجَمْعُ حِدَاقٌ. قَالَ:

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ حِدَاقَهَا ... سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ[3]

وَالتَّحْدِيقُ: شِدَّةُ النَّظَرِ. وَالْحَدِيقَةُ: الْأَرْضُ ذَاتُ الشَّجَرِ. وَالْحِدْيقَةُ: الْحَدَقَةُ)[4].

---

(١) تفسير غريب القرآن/٣٢٦.

(٢) العين ٤١/٣ وقول عنترة هو شطر بيت من الكامل، من معلقته، في ديوانه/١٢٣، والبيت بتمامه:

جَادَتْ عَلَيْها كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كلَّ حَديقةٍ كالدِرْهَم

(٣) بيت من الكامل لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ٣/١ والمفضليات /٤٢٢ والعين ٤١/٣، ٢٦٧/٧ وغريب الحديث لأبي عبيد ١٤٧/١ والمنتخب من كلام العرب ٦٤٢/١والمزهر ١٧٢/٢.

(٤) مقاييس اللغة (ح د ق).

كما قال بذلك الفراء، والزجاج، والأزهري، والقرطبي[١].

وينقل ابن عطية عن بعضهم أن الحديقة قد تكون بحائط، وبغيره، فقال:(الحدائق: مجتمع الشجر من الأعناب والنخيل وغير ذلك، قال قوم: لا يقال حديقة إلا لما عليه جدار قد أحدق به، وقال قوم: يقال ذلك كان جدارا أولم يكن لأن البياض محدق بالأشجار)[٢].

الحرج

({فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ}[٣] أي: شك. وأصل الحَرَج: الضيق. والشاك في الأمر يضيق صدرًا؛ لأنه لا يعلم حقيقته. فسمى الشك حَرَجًا)[٤].

في هذا النص يرادف ابن قتيبة بين الشك والحرج، فهو يرى أن المعنى الجامع بينهما هو الضيق، وهو متحقق في الحرج على سبيل الحقيقة، وفي الشك على سبيل المجاز، حيث إن الشاك يضيق صدره لتردده وتحيره، فهو من باب تسمية الشيء بسببه.

ويؤيد ذلك ما ذكره الخليل حين قال: (ورجُلٌ حَرِج وحَرَج كما تقول: دَنِف ودَنَف: في معنى الضَيِّق الصَدْر، قال الراجز: لا حَرِجُ الصَدّرِ، ولا عنيفُ ويقرأ {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً}[٥] وحَرِجاً[٦] وقد حَرِجَ صدرهُ: أيْ ضاق ولا ينشَرحُ لخَير)[٧].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٦/٥، والتهذيب ٢٣/٤(باب الحاء والقاف والدال)، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٦/٤.

(٣) الأعراف/٢.

(٤) تفسير غريب القرآن/١٦٥.

(٥) الأنعام/١٢٥.

(٦) قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائي {حرجا} مَفْتُوحَة الرَّاء، وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر {حرجا} مَكْسُورَة الرَّاء، وروى حَفْص عَن عَاصِم {حرجا} مثل أَبى عَمْرو (السبعة في القراءات لابن مجاهد/٢٦٨).

(٧) العين ٧٦/٢ باب الحاء والجيم مع الراء.

وأشار ابن فارس أن المادة تدور حول معنى واحد فقال: (الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مُعْظَمُ الْبَابِ وَإِلَيْهِ مَرْجِعِ فُرُوعِهِ، وَذَلِكَ تَجَمُّعُ الشَّيْءِ وَضِيقُهُ. فَمِنْهُ الْحَرَجُ جَمْعُ حَرَجَةٍ، وَهِيَ مُجْتَمَعُ شَجَرٍ. وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ حَرَجَاتٌ. قَالَ:

أَيَا حَرَجَاتِ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا ... بِذِي سَلَمٍ لَا جَادَكُنَّ رَبِيعُ

وَيُقَالُ حِرَاجٌ أَيْضًا. قَالَ:

عَايَنَ حَيًّا كَالْحَرَاجِ نَعَمُهْ[1]

وَمِنْ ذَلِكَ: الْحَرَجَ الْإِثْمُ، وَالْحَرَجُ الضِّيقُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا}. وَيُقَالُ حَرِجَتِ الْعَيْنُ تَحْرَجُ، أَيْ تَحَارُ. وَتَقُولُ: حَرِجَ عَلَيَّ ظُلْمُكَ، أَيْ حُرِمَ. وَيُقَالُ السَّرِيرُ الَّذِي تُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَوْتَى، وَالْمِحَفَّةُ: حَرَجٌ. قَالَ:

فَإِمَّا تَرَيْنِي فِي رِحَالَةِ جَابِرٍ ... عَلَى حَرَجٍ كَالْقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي

وَنَاقَةٌ حَرَجٌ وَحُرْجُوجٌ: ضَامِرَةٌ، وَذَلِكَ تَدَاخُلُ عِظَامِهَا وَلَحْمِهَا. وَمِنْهُ الْحَرِجُ الرَّجُلُ الَّذِي لَا يَكَادُ يَبْرَحُ الْقِتَالَ)[2] وقد قال بهذا التعليل كثير من اللغويين)[3].

الحَمَّامُ

({لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ}[4] وهو: الماء الحارُّ. ومنه سُمِّيَ: الحَمَّامُ)[5]

---

(١) من الرجز للعجاج في جمهرة اللغة ١٢١٧/٢ وبعده: **يَكُونُ أَقْصَى شَلَّهُ مُحْرَنْجِمَهْ.**

(٢) المقاييس (ح ر ج).

(٣) الجيم ١١٦/١، ومجاز القرآن ١٥٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩٠/٢، المنجد في اللغة /١٧٨ والجمهرة ٤٣٦/١ باب الجيم والحاء مع الراء، وديوان الأدب ٢٠٦/١، والتهذيب ٨٤/٤ باب الحاء والجيم مع الراء، والصحاح (ح ر ج)، والمحكم ٧٠/٣ باب الحاء والجيم مع الراء، وشمس العلوم ١٣٩٢/٣، وفقه اللغة/٥٢، ودرة الغواص/٢٦٤وأساس البلاغة، واللسان ٢٣٤/٢(ح ر ج).

(٤) جزء الآية/٧٠ من سورة الأنعام، والآية/٤ من سورة يونس.

(٥) تفسير غريب القرآن/ ١٥٥.

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية الحَمَّام " مكان الاستحمام" بهذا الاسم، فهو يرى أنه سُمِّي بذلك لما يكون فيه من الحميم، وهو الماء الحارُّ، وهذا التسمية مجازية علاقتها الحالِّية.

ومما يؤكد صحة ما ذكره ابن قتيبة ما ذكره الخليل من قبل حيث قال: (الحَمّام: أُخِذَ من الحَميم، تُذكِّرُه العَرَب. والحميم: الماء الحارُّ)[١] وقال ابن سيده: (الحَمَّامُ: الدِّيماسُ مُشْتَقٌّ مِنَ الحَميم، مُذَكَّرٌ، تُذَكِّرُه الْعَرَبُ)[٢].

أما الزمخشري فقال: (توضأ بالحميم، وهو الماء الحار. واسْتَحَمَّ الرجلُ: اغتسل. واسْتَحَمَّ: دخل الحَمَّامَ)[٣].

ومما يدل على أنه أراد بالحَمَّام: المكان، قول الجوهري: (الحَمّامُ مُشدّد: وَاحِدُ الحَمّامات الْمَبْنِيَّةِ)[٤].

يَوْمُ الدِّينِ

(يَوْمُ الدِّينِ: يوم القيامة. سمِّي بذلك لأنه يوم الجزاء والحساب، ومنه يقال: دِنْتُه بما صَنَع. أي جازيته)[٥]

علل ابن قتيبة لتسمية (يوم الدين) الوارد في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[٦] (يوم القيامة) وهو من باب تسمية الشيء بلازمه، وهو المحاسبة، حيث سيكون في هذا اليوم محاسبتهم على ما قدموا في دنياهم.

وقد ذكر ذلك كثير من المفسرين وعلماء المعاجم، فقد قالوا: (من أنحاء اللفظة، الدين: الجزاء، فمن ذلك قول الفند الزماني " شهل بن شيبان"

(١) العين ٣٣/٣ باب الحاء والميم، والتهذيب–عن الليث –١١/٤ باب الحاء والميم.
(٢) المحكم ٥٥٢/٢ باب الحاء والميم، ولسان العرب (ح م م) عن ابن سيده.
(٣) أساس البلاغة (ح م م).
(٤) الصحاح (ح م م).
(٥) تفسير غريب القرآن/٣٨.
(٦) الفاتحة/٤.

ولم يبق سوى العدوا ... ن دنّاهم كما دانوا[(١)]

أي: جازيناهم. ومنه قول كعب بن جعيل:

إذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا[(٢)]

ومنه قول الآخر:

واعلم يقينا أنّ ملكك زائل ... واعلم بأنّ كما تدين تدان[(٣)]

وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح لتفسير قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} أي يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج، وقتادة وغيرهم)[(٤)].

(الدِّينِ: الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ وَالْحِسَابِ بِهَا، كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمْ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}[(٥)] أَيْ حِسَابَهُمْ. وَقَالَ: {الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ}[(٦)] وَ{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[(٧)] وَقَالَ: {أَإِنَّا لَمَدِينُونَ}[(٨)] أي مجزيون محاسبون. وقال لبيد:

حَصَادُكَ يَوْمًا مَا زَرَعْتَ وَإِنَّمَا ... يُدَانُ الْفَتَى يوما كما هو دائن[(٩)]

---

(١) البيت من بحر الهزج.

(٢) البيت من بحر المتقارب.

(٣) البيت من بحر الكامل.

(٤) المحرر الوجيز/٤٣، وزاد المسير ١٩/١.

(٥) النور/٢٥.

(٦) غافر/١٧.

(٧) الجاثية/٢٨.

(٨) الصافات/٥٣.

(٩) البيت من بحر الطويل.

وَحَكَى أَهْلُ اللُّغَةِ: دِنْتَهُ بِفِعْلِهِ دَيْنًا (بِفَتْحِ الدَّالِ) وَدِينًا (بِكَسْرِهَا) جَزَيْتَهُ، وَمِنْهُ الدَّيَّانُ فِي صِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى أَيِ الْمُجَازِي، وَفِي الْحَدِيثِ: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ)[1] أَيْ حَاسَبَ)[2].

أما أصحاب المعاجم فقالوا: (الدِّينُ: الجَزاءُ لا يُجْمَعُ لأنّه مصدر، كقولِكَ: دانَ اللهُ العِبادَ يَدينهم يومَ القيامة أي يَجزيهِم، وهو دَيّانُ العِباد. والمثل السائر: كَمَا تَدين تُدان، أَي كَمَا تفعل يُفعل بك) (أَبُو عبيد: الدِّين: الْحساب وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. وَقَالَ غَيره: مالكِ يَوْم الْجَزَاء، وَمِنْه قَوْلهم: كَمَا تَدِينُ تُدان، الْمَعْنى كَمَا تعْمل تُعْطَى وتُجَازَى، وَقَالَ الشَّاعِر:

وَاعْلَمْ يَقيناً أَنَّ مُلْكَكَ زائِلٌ ... واعْلم بأَنَّ كَمَا تدينُ تُدان

أَي تُجْزَى بِمَا تفعل)[3].

الرباط

{وَرَابِطُوا}[4] في سبيل الله. وأصل المرابطة والرِّباط: أن يربط هؤلاء خيولهم، ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر. كل يُعِدُّ لصاحبه. وسمي المقام بالثغور: رِباطًا)[5].

في هذا النص يرمز ابن قتيبة إلى علة تسمية رباط المجاهدين بهذا الاسم هي المجاز، وعلاقته المجاورة، حيث يرى أن الأصل هو ربط الخيول بالثغور تأهبا للقتال، ثم تطورت دلالة اللفظ، واتسعت لتشمل الإقامة بالمكان للدفع عمن وراءه. والعلاقة بين الدال(الرباط) والمدلول (المكث بالمكان) هو المجاورة.

---

(١) عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ، مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» حديث حسن. سنن ابن ماجه ١٤٢٣/٢، وسنن الترمذي ٦٣٨/٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/١، وتفسير البيضاوي ٢٨/١.

(٣) العين ٧٣/٨، والجمهرة ٦٨٨/٢، وتهذيب اللغة ١٢٨/١٤.

(٤) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} آل عمران/٢٠٠.

(٥) تفسير غريب القرآن/١١٧.

ومما يدل على صحة هذه الرؤية ويؤكدها ما ذكره جماعة من اللغويين وآخرين من المفسرين فها هو ذا ابن عطية يقول: (الرباط: هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطا، فارسا كان أو راجلا، واللفظة مأخوذة من الربط)[١] وبمثله قال البغوي، وكذلك قال الأزهري، وابن سيده، الزمخشري.[٢] أما الخليل، وابن دريد، والجوهري فذكروا الدال والمدلول دون ربط بينهما.[٣]

الرجز

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}[٤] (يعني: الأوثان. وأصل "الرجز" العذاب. فسمِّيتْ الأوثانُ رجزًا؛ لأنها تؤدِّي إلى العذاب)[٥].

الرجز: العذاب كذا قال الخليل، والفراء، وأبو عبيدة، والسجستاني، والنحاس، والزجاج، وابن دريد، وابن سيده، والطبري، والقرطبي، وغيرهم.[٦] وتبع جماعة ابن قتيبة في تسمية الأوثان رجزًا.[٧] وذهب آخرون إلى أن الرجز: هو عبادة الأوثان[٨].

وقد علل ابن قتيبة لتسمية الأوثان بالرجز الذي هو العذاب، وذلك على سبيل المجاز، وهو من باب تسمية الشيء بسببه.

---

(١) المحرر الوجيز ١٦٥/١.

(٢) تفسير البغوي ٥٦٠/١، وتهذيب اللغة ٢٣٠/١، والمحكم ١٦٢/٩، وأساس البلاغة (ر ب ط).

(٣) ينظر العين ٤٢٢/٧ باب الطاء والراء مع الباء، والجمهرة ٣١٥/١، والصحاح (رب ط).

(٤) المدثر/٥.

(٥) تفسير غريب القرآن/٤٩٥.

(٦) العين ٦٦/٦ باب الجيم والزاي مع الراء، ومعاني القرآن للفراء ٤٨٠/١، ومجاز القرآن ٤١/١، وغريب القرآن للسجستاني/٢٤٦، ومعاني القرآن للأخفش ٧١/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٤٥/٥، والجمهرة ٤٥٦/١، والمحكم ٢٩١/٧، وجامع البيان للطبري ١١٢/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٤٥٣/٣.

(٧) ديوان الأدب ١٥٤/١، وغريب القرآن للسجستاني/٢٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٩.

(٨) العين ٦٦/٦، والبارع/٦٥٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٤/٢، ٢٠٥، والتهذيب ٣٢٢/١٠، والمحكم ٢٩١/٧.

وورد هذا التعليل عن السجستاني فقال: (الرجز –بِكَسْر الرَّاء وضمهَا– ومعناهما وَاحِد، وَفسّر بالأوثان. وَسميت الْأَوْثَان رجزا؛ لِأَنَّهَا سَبَب الرجز، أَي سَبَب الْعَذَاب)[1]

الرجم

{وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ}[2] (أي: قتلناك. وكانوا يقتلون رَجْمًا. فسمّى القتل رجما. ومثله: قوله: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ})[3]

ذكر عدد من اللغويين والمفسرين – منهم ابن قتيبة –إلى أن كلمة الرجم في القرآن الكريم يراد بها في بعض الأحوال: القتل، يقول الخليل: (الرَّجمُ –في القرآن –: القتل، في شأن نُوح عليه السلام والرَّجمُ: اسم لما يُرجمُ به الشيء، والجميع الرجوم، وهي الحِجارةُ)[4].

وقد حاول ابن قتيبة إيجاد علة لهذه التسمية فقال: وكانوا يقتلون رَجْمًا. فسمّى القتل رجما. فهو بهذا يشير إلى أن السبب في القتل هو الرجم، وعلى هذا تكون التسمية من باب المجاز، حيث عبر بالسبب وأراد المسبب.

ومما يشير إلى صحة ما ذكره ابن قتيبة، ويدعمه قول الأزهري، وابن منظور: (إنّما قيل لِلْقَتْل: رجم؛ لأَنهم كَانُوا إِذا قتلوا رجلا رَمَوْه بِالْحجارة حَتَّى يَقْتُلُوه، ثمَّ قيل لكل قَتْلٍ رَجْم، وَمِنْه رجمُ الثَّيِّبَيْن إِذَا زَنَيَا) وكذلك ما ورد عن الرازي: (مَعْنَى الرَّجْمِ فِي اللُّغَةِ: الرَّمْيُ بِالْحِجَارَةِ. ثُمَّ قِيلَ للقتل: رُجِمَ، تَشْبِيهًا لَهُ بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ)[5].

---

(١) غريب القرآن للسجستاني/٢٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٩.

(٢) هود/٩١.

(٣) تفسير غريب القرآن/٢٠٩ والآية من سورة يس رقم/١٨.

(٤) العين ١١٩/٦ باب الجيم والراء والميم، وينظر التهذيب ٤٨/١١، والصحاح، ولسان العرب (رج م)، والمحكم ٤٢٠/٧، وتفسيرالرازي١٢٩/١٤، والمفردات للأصفهاني/٣٤٥.

(٥) التهذيب ٤٨/١١ باب الجيم والراء والميم ولسان العرب، وتفسير الرازي ١٢٩/١٤.

السمر

(السَّمَرُ: حديث الليل. وأصل السَّمَر: الليل)[١].

يشير ابن قتيبة بهذا القول إلى علة تسمية حديث الليل: سمرا، فهو يرى أن السمر: هو الليل ثم انتقلت دلالة اللفظ من الزمن(الليل) إلى ما يحدث في الزمن من أحاديث، وعلى هذا فالتسمية من المجاز والعلاقة الزمانية، حيث أطلق الزمان، وأراد ما يكون فيه من تجاذب أطراف الحديث.

ومن اللغويين من يتفق مع ابن قتيبة في القول بأن السمر: حديث الليل[٢] وهناك من يرى أن السمر: سواد الليل.[٣] ومنهم من يرى أنه ظل القمر، كقول الزجاج: (السامِرُ: الجَمَاعَةِ الذين يَتَحَدَّثونَ لَيْلاً. وإنما سُمُّوا سُمَّارا، مِنَ السَّمَرِ، وهو ظل القمر، وكذلِكَ السُّمْرَة مشتقة من هذا) وقول ابن عطية: (يقال: قوم سَمْرٌ وسُمَّرٌ وسامر، ومعناه: سهر الليل، مأخوذ من السمر: وهو ما يقع على الأشخاص من ضوء القمر فكانت العرب تجلس للسمر تتحدث) وما ورد عن القرطبي: (سامِراً: معناه سمارا، وهم الْجَمَاعَةُ يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيْلِ، مَأْخُوذٌ مِنَ السَّمَرِ، وَهُوَ ظِلُّ الْقَمَرِ، وَمِنْهُ سُمْرَةُ اللَّوْنِ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فِي سَمَرِ الْقَمَرِ، فَسُمِّيَ التَّحَدُّثُ بِهِ. قَالَ الثَّوْرِيُّ: يُقَالُ لِظِلِّ الْقَمَرِ: السَّمَرُ، وَمِنْهُ السُّمْرَةُ فِي اللَّوْنِ)[٤] ومع اختلاف هذه الدلالات مع ما ذكره ابن قتيبة إلا أن المعاني متقاربة، ولا تضارب بينها.

---

(١) تفسير غريب القرآن/ ٢٩٨.

(٢) العين ٢٥٥/٧ (باب السين والراء مع الميم)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨/٤، والجمهرة ٧٢١/٢ (باب الراء والسين مع الميم)، والتهذيب ٢٩٠/١٢، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٤٢٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني/٤٢٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨/٤، والمحرر الوجيز ١٥٠/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٣٦/١٢ وينظر التهذيب ٢٩٠/١٢، الدر المصون ٣٥٨/٨.

صَّعِيد

(الصَّعِيد: المُسْتَوي. ويقال: وجه الأرض. ومنه قيل للتراب: صعيدًا؛ لأنه وجه الأرض)[١].

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى أن التراب يسمى صعيدًا، ثم يعلل لهذه التسمية بقوله: " لأنه وجه الأرض"، وهو بهذا يرمز إلى أن التسمية جاءت عن طريق المجاز، بعلاقة المجاورة أو الملاصقة، فالتراب يجاور وجه الأرض ويلاصقها، فسمي صعيدا بالمجاورة.

ومما يدل على صحة هذا الرأي ويؤيده ما ورد عن ثعلب حيث قال: (الصعيد: أعلى الأرض وأطيبها، وهو أطيب مما سفل من الأرض؛ لأنه لا يلحق العالي ما يلحق المنهبط. وهو الأصل في اسم الصعيد، ثم لحق الاسم كل تراب طيب)[٢].

وقد ذهب الخليل إلى أن: الصَّعيد: وجه الأرض قلّ أو كثر. تقول: عليك بالصَّعيد، أي: اجلس على الأرض وتَيَمَّم الصَّعيد، أي: خذ من غباره بكفيك للصلاة. قال الله ﷻ: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً}[٣] قال ذو الرّمة:

قَدِ اسْتَحَلُّوا قِسْمَةَ السُّجُودِ ... وَالْمَسْحَ بِالْأَيدِي مِنَ الصّعِيدِ[٤]

يقال للحديقة إذا خربت، وذهب شجرها: صارت صعيداً، أي: أرضاً مستوية)[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٢٦٣.

(٢) مجالس ثعلب/١٠١.

(٣) المائدة/٦.

(٤) شطران من الرجز في ديوانه /٧٩ ورواية الشطر الأول: (**حَتَّى اسْتَحَلُّوا** .....).

(٥) العين ١/٢٩٠، ٢٩١ وينظر الصحاح (ص ع د) وغريب القرآن للسجستاني/٢٩٨، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي/٣٤.

المعارج

(المعارج: الدَّرَج. يقال: عَرَج أي صعِد. ومنه "المِعراج"؛ كأنه سبب إلى السماء أو طريق)[١].

رادف ابن قتيبة بين (المعارج) و (الدرج) والمعارج جمع (مِعْرَاج، وَهُوَ بِالْكَسْرِ شِبْه السُّلّم، مِفْعَال، مِنَ العُرُوج: الصُّعود، كَأَنَّهُ آلَةٌ لَهُ)[٢] و(الدَّرَجُ: جماعة عتب الدَّرَجَةِ. والدَّرَجَةُ في الرِّفعة والمنزلة، وتجمع الدَّرَج، ودَرَجاتُ الجنان: منازلُ ارفع من منازل)[٣] وعلة التسمية عنده هي المجاز، حيث شبه المعراج بالدرج الذي يُرْقى عليه، وهو من تسمية الشيء بسببه.

وقد ذكر ابن دريد أن: (المعارج: معارج الْمَلَائِكَة إِلَى السَّمَاء وَالله أعلم. وَيُمكن أَن يكون وَاحِدهَا مَعْرِجًا ومُعْرِجًا ومِعْرَاجًا. والمعراج فِيمَا زعم أهل التَّفْسِير: سَبَب تنحدر عَلَيْهِ الْمَلَائِكَة من السَّمَاء وَهُوَ الَّذِي يعاينه الْمَرِيض عِنْد مَوته فيشخص ببصره وَلَا حَيَاة بعد رُؤْيَته وَالله أعلم)[٤].

ويدعم ذلك قول الأصفهاني: (ليلة المِعْرَاجُ سمّيت؛ لصعود الدّعاء فيها إشارة إلى قوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ})[٥].

المفلحون

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٦] من الفلاح؛ وأصله البقاء. ومنه قول عَبِيدٍ:

أَفْلِحْ بِمَا شِئْتَ، فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضْ ... ضَعْفِ، وَقَدْ يُخْدَعُ الأَرِيبُ[٧]

أي: ابق بما شئت من كَيْس أو غفلة.

---

(١) تفسير غريب القرآن/٣٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٠٣/٣وينظر غريب القرآن للسجستاني/٤٢٤.

(٣) العين ٧٨/٦ باب الجيم والدال مع الراء.

(٤) الجمهرة ٤٦١/١ باب الجيم والراء مع العين.

(٥) المفردات للأصفهاني/٥٥٧، والآية رقم/١٠ من سورة فاطر.

(٦) البقرة/٥.

(٧) ديوانه /٢٢ والبيت من مجزوء البسيط.

فكأنه قيل للمؤمنين: مفلحون؛ لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم. هذا هو الأصل. ثم قيل ذلك لكل من عَقَلَ وحَزَمَ، وتكاملت فيه خِلالُ الخير)[١].

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية (المفلحون) فهو يرى أن مادة (ف ل ح) تعني: البقاء، فالمفلحون هم الذين فازوا بالبقاء في النعيم المقيم. ويعد هذا التعليل من باب المجاز، حيث سُمِّيَ الشيء بما يؤول إليه.

وقد ذكر ذلك الخليل قال: (الفلاحُ، والفَلَحُ لغة، البقاء في الخَير، وفَلاحُ الدَّهْر: بَقاؤه. وحَيَّ على الفَلاح أي: هَلُمَّ على بقاء الخير)[٢] وبمثله قال أبو عبيدة، وابن دريد وغيرهما.[٣] وقال الراغب الأصفهاني –عند تفسيره لقول الله ﷻ: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} –: وسمي " الظفر" فلاحاً اعتباراً بكشف الكربة.

ثم " الفلاح " تارة يعتبر بأعراض الدنيا، فيقال: أفلح فلان: إذا ظفر بما يريده. وقول من قال: الفلاح: البقاء، لقول الشاعر:

.... **وترجو والفلاح بعد عاد وحميرا**

فإنما عني الفرج. والبقاء: بعض الفرج. فإذا ذلك عام موضوع موضع خاص.

---

(١) تفسير غريب القرآن /٣٩، ٤٠.

(٢) العين ٢٣٣/٣، ٢٣٤.

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢٩/١، ٣٠، والجمهرة ٥٥٥/١، ومعاني القرآن للنحاس ٨٦/١، والزاهر في معاني كلمات الناس ٣٨/١، ٣٩، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي /٥٤، ومقاييس اللغة (ف ل ح).

وقد استعمل " الفلاح " في الآية لما هو في الحقيقة ظفر وفرج، كما قال ﷺ: " لا عيش إلا عيش الآخرة " [١] وهو قوله تعالى: {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}[٢] [٣].

المقوين –المسافرين

({لِلْمُقْوِينَ}:[٤] يعني: المسافرين. سموا بذلك: لنزولهم القواء وهو: القَفْر)[٥].

في هذا النص يرادف ابن قتيبة بين (المقوين) و(المسافرين) ثم يعلل لتسمية المسافرين مقوين فيقول: سموا بذلك: لنزولهم القواء وهو: القَفْر، فهذا يعد من باب المجاز الذي علاقته غير المشابهة، وهي المكانية، فسمى المسافرين باسم المكان الذي يجتازوه، وهو القِيُّ، أي: الفيافي والقفار، فالمسافر مقوٍ؛ لاجتيازه القواء والقفار.

ويؤيد ذلك ما ذكره الخليل حين قال: (أَقوى القوم، إذا وقعوا في قي من الأرض. والقِيُّ: أرض مستوية ملساء، اشتق من القواء، (يقال): أرض

---

(١) رواه البخاري من طرق متعددة، مع اختلاف بعض ألفاظه، منها: (حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا ﷺ، يَقُولُ: كَانَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ تَقُولُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الجِهَادِ مَا حَيِينَا أَبَدَا

فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ ... فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ» صحيح البخاري ٤/٥٠، و٥/٣٤، و٥/١٠٧، و٨/٨٨.

(٢) العنكبوت/٦٤.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ١/٨٦، وينظر المحرر الوجيز ١/٨٦.

(٤) {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} الواقعة/٧٣.

(٥) تفسير غريب القرآن/٤٥١.

قواء: لا أهل فيها. والفعل: أقوتِ الأرض) وبمثله قال جمع من اللغويين والمفسرين(١).

النفس – الدم

(العرب تسمى الدم: نفسا؛ لاتصال النفس به على مذهبهم في تسمية الشيء بما اتصل به أو جاوره أو كان سببا له. ويقولون: نَفِسَت المرأة: إذا حاضت كأنها دَمِيَت. وقال أصحاب اللغة: وإنما سمِّيت المرأة نُفَسَاء لسيلان الدم)(٢).

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية الدم نفسا ومناسبة اللفظ لمدلوله فالدم سمي نفسا لأنه سبب فيه، فالعلة مردها إلى السببية والمجاورة كما صرح ابن قتيبة بذلك، وقد ذكر بعض المعجميين والمفسرين الاسم وعلته، فقال بعضهم: (أَما النَّفْس: الدَّمُ فَشَاهِدُهُ قَوْلُ السموأَل:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا، ... ولَيْسَتْ عَلى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ(٣)

وإِنما سُمِّيَ الدَّمُ: نَفْساً؛ لأَن النَّفْس تَخْرُجُ بِخُرُوجِهِ)(٤).

والنفس: ذات الشيء وحقيقته. يقال عندي كذا نفسا. ثم قيل للقلب: نفس؛ لأن النفس به. ألا ترى إلى قولهم: المرء بأصغريه. وكذلك بمعنى الروح، والدم: نَفْسٌ؛ لأن قوامها بالدم)(٥).

---

(١) العين ٢٣٧/٥، وينظر معاني القرآن للفراء ١٢٩/٣، ومعاني القرآن للأخفش ٥٣٣/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٥/٥، والجمهرة ١٠٨٣/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٢٨/٤، والصحاح (قوي)، والكشف والبيان ٢١٧/٩، وجامع البيان ١٤٦/٢٣، وتفسير البغوي ١٨/٥، والكشاف ٤٦٧/٤، والمحرر الوجيز ٢٥٠/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٧.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٥.

(٣) البيت من بحر الطويل في الديوان الذي ضم شعره وشعر عروة بن الورد ص٩١.

(٤) لسان العرب وتاج العروس باب السين فصل النون مع الفاء.

(٥) الكشاف ٥٩/١ والنسفي ٤٩/١وينظر فتح القدير ٤١/١.

(والنَّفْس: المَاء، سُمّي نَفْساً؛ لِأَن بِهِ قِوام النَّفْس. والنَّفْس: الدَّم)[١].

النَّفَسُ –الرَّبْوُ

(الربو سُمِّيَ نفسًا؛ لأنه عن النَّفَسِ يكون)[٢].

يرادف ابن قتيبة في هذا النص بين (الربو) و(النَّفَسِ) ثم يعلل لهذا الترادف، ولتسمية النفس ربوًا بأن الربو يكون نتيجة النفس، فهو بهذا يلمح إلى علاقة مجازية بين الاسم والمسمى، فالنَفَسُ سبب في الربو، فالعلاقة بين الاسمين هي السببية.

وقد ذكر المعجميون كلاما شبيها بما ذكره ابن قتيبة، حيث قالوا: (ربا فلانٌ، أي: أصابه نَفَسٌ في جوفه. ودابّةٌ بها رَبْو) ١[٣] ويقول ابن فارس مؤكدًا تعليل ابن قتيبة: (الرَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ وَكَذَلِكَ الْمَهْمُوزُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْعُلُوُّ. تَقُولُ مِنْ ذَلِكَ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو، إِذَا زَادَ. وَرَبَا الرَّابِيَةَ يَرْبُوهَا، إِذَا عَلَاهَا. وَرَبَا: أَصَابَهُ الرَّبْوُ؛ وَالرَّبْوُ: عُلُوُّ النَّفَسِ. قَالَ:

حَتَّى عَلَا رَأْسَ يَفَاعٍ فَرَبَا ... رَقَّهَ عَنْ أَنْفَاسِهَا وَمَا رَبَا[٤]

أَيْ، رَبَاهَا وَمَا أَصَابَهُ الرَّبْوُ)[٥].

(١) الجمهرة ٨٤٨/٢ باب السين والفاء والنون.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٥.

(٣) العين ٢٨٣/٨، والجمهرة ٣٣٠/١، والصحاح باب الواو والياء فصل الراء.

(٤) من الرجز، ولم أقف عليه عند غير ابن فارس .

(٥) المقاييس (رب و).

حولية كلية اللغة العربية بإيتاى البارود (العدد التاسع والعشرون)

المبحث السادس
التسمية بالمجاز وعلاقة المشابهة

إنجيل

(الإنجيل: من نَجلتُ الشيءَ: إذا أخرجته. وولدُ الرجل نجلُه. وإنجيل "إِفْعِيل" من ذلك. كأن الله أظهر به عَافيًا من الحق دَارِسًا)[1].

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لتسمية الإنجيل بهذا الاسم، فالنجل هو الإظهار والإخراج، فيتصيد ابن قتيبة من ذلك ما يشعر بعلة التسمية فيقول: كأن الله أظهر به عَافيًا من الحق دَارِسًا.

فالإنجيل على ذلك مُظْهِرٌ للحق، ومبينٌ له، بعد أن ضَلَّ الناس السبيل، وعليه فالعلة هنا تكمن في المجاز حيث شبه الكتاب في إظهاره للحق، وبيانه له، بمَنْ يخرج شيئًا من شيء، ثم حذف المشبه ورمز له بلازم من لوازمه، وهو الإيتاء (الإعطاء)؛ قال تعالى: {وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٤٦].

ومما يؤكد صِحَّةَ ما ذُكِرَ ما ورد عن كثير من اللغويين، يقول ابن دريد: (نَجَلَ الرجلُ: نَسْله. والنَّجَلُ: أول مَا يظْهر من مَاء الْبِئْر إِذا حفر، وَجمعه: نِجالٌ لَا غير، واستنجل المَاء: إِذا ظهر فِي الْوَادي، وَيُمكن أَن يكون اشتقاق الْإِنْجِيل من هَذَا)[2].

وقال أبو بكر الأنباري: (في الإنجيل قولان: قال جماعة من أهل اللغة: الإنجيل: الأصل. قالوا: فمعنى قولهم: إنجيل، لكتاب الله: أصل للقوم الذين أنزل عليهم، أي: يجِلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بما فيه. قالوا: ويقال: قد نجله أبوان كريمان، أي: ولده أبوان. ويقال: لعن الله ناجِلَيْه، أي: أبويه. قال الأعشى:

---

(١) تفسير غريب القرآن/٣٦ وينظر غريب الحديث لابن قتيبة/٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) الجمهرة ٤٩٢/١.

أنجبَ أيّامَ والِداهُ بِهِ ... إذْ نَجَلاهُ فنِعْمَ ما نَجَلا[1]

أي كانا أصلاً له إذ ولداه.

وقال قوم: الإنجيل مأخوذ من قول العرب: قد نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته. فسمي الإنجيل: إنجيلاً؛ لأن الله أظهره للناس بعد طموس الحق ودروسه.

وفي الإنجيل قول ثالث، وهو: أن يكون الإنجيل سُمي إنجيلاً؛ لأن الناس اختلفوا فيه وتنازعوا، قال أبو عمرو: التَّناجُلُ: التنازع، يقال: قد تَناجَلَ القومُ: إذا تنازعوا واختلفوا)[2] ونقل أَبُو عمر الماوردي (عَن ثَعْلَب عَن عَمْرو عَن ابيه قَالَ: النجل: المَاء المستنقع، والنجل: الْوَلَد، والنجل: النز، والنجل: الْجمع الْكثير من النَّاس، والنجل: المحجة الْوَاضِحَة، والنجل: سلخ الْجلد من قَفاهُ، والنجل: إثارة أَخْفَاف الْإِبِل الكمأة، أَي: إظهارها، والنجل: السّير الشَّديد، وَيُقَال للجمال إِذا كَانَ حاذقا: منجل، والنجل: محو الصَّبِي اللَّوْح، والنجل: الْجَمَاعَة تَجْتَمِع فِي الْخَيْر. وَيجوز أَن يكون الْإِنْجِيل مأخوذا من هَذَا كُله)[3].

غير أن الزمخشري يرى أن اشتقاق هذا الاسم ونظائره تكلف فقال: (التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ اسمان أعجميان. وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل، ووزنهما: تفعلة وأفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين. وقرأ الحسن: "الأنجيل"، بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمة؛ لأن أفعيل-بفتح الهمزة- عديم في أوزان العرب)[4].

(١) ديوانه /٢٣٥ والبيت من بحر المنسرح.
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٧٣/١، ٧٤.
(٣) العشرات في غريب اللغة/١٠٩، وينظر معاني القرآن وإعرابه ١٨٠/٢، والتهذيب ٥٦/١١ باب الجيم واللام والنون، والكشف والبيان ٨/٣، وتفسير البغوي ٤٠٨/١.
(٤) الكشاف ٣٣٥/١، ٣٣٦.

الذَّنُوبُ

(الذَّنُوبُ: الحظ والنصيب. وأصله: الدَّلْوُ العظيمة. وكانوا يَسْتَقون فيكون لكل واحدٍ ذنوبٌ. فجُعل "الذَّنوب" مكان "الحظ والنصيب"، على الاستعارة)[1].

في هذا النص يعلل ابن قتيبة لإطلاق كلمة "الذنوب" على "الحظ والنصيب" حيث أشار إلى أن أصل وضعها للدلو التي يحصل عليها طالب الماء نصيبا له، وأشار بقوله: على الاستعارة، إلى تشبيه العطاء الذي يُعْطَاهُ الإنسان بحظه من الماء عند ورودهم، ثم حذف المشبه، ورمز له بلازم من لوازمه وهو الذنوب (الدلو العظيمة).

وفي النص إشارة إلى ما حدث للفظ من تطور دلالي بتعميمه ليشمل كل عطاء بعد أن كان خاصا بعطائه من الماء.

ومما يدل على صحة ما ذهب إليه ابن قتيبة ما ورد عن الخليل حين قال: (الذَّنوبُ: مِلءُ دَلْوٍ من ماءٍ، ويكون النَّصيبُ من كلِّ شيءٍ كذلك، قال:

لنا ذَنوبٌ ولكُمْ ذَنوبُ ... .)[2]

وما ورد كذلك عن الفراء الذي قال: (الذنوب فِي كلام العرب: الدَّلْوُ العظيمة، وَلكن العربَ تذهَبُ بها إلى النَّصِيب وَالحظِّ. وَبذلِكَ أتى التفسيرُ: فإنَّ للذين ظَلَموا حظًّا من العذابِ، كما نزَلَ بالذين من قبلهم، وقال الشاعرُ:

لنَا ذَنوبٌ وَلكمْ ذَنوبُ ... فإنْ أبيتمْ فلنا القليب)[3]

---

(١) تفسير غريب القرآن/ ٤٢٣.

(٢) العين ١٩٠/٨ والرجز دون عزو في معاني القرآن للفراء ٩٠/٣، والجمهرة ٣٠٦/١، والكشاف ٤٠٧/٤، وزاد المسير ١٧٤/٤، والجامع لأحكام القرآن ٥٧/١٧ والدر المصون ٦١/١٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ٩٠/٣ وينظر غريب القرآن للسجستاني ٢٣٠، والكشف والبيان ١٢٢/٩، والبغوي ٢٨٤/٤، والكشاف ٤٠٧/٤، والمحرر الوجيز ١٨٣/٥، وزاد المسير ١٧٤/٤، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٨، والجامع لأحكام القرآن ٥٧/١٧، والبيضاوي ١٥١/٥، والبحر المحيط ٥٤٧/٩، والدر المصون ٦١/١٠.

تَسْنِيمٌ

{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}[١] (يقال: أرفعُ شراب في الجنة. وأصل هذا من "سَنَام البعير" ومنه: "تَسنيمُ القُبورِ". وهذا أعجبُ إليَّ؛ لقولِ الْمُسيَّب بن عَلَس في وصف امرأة:

كَأَنَّ بِرِيقَتِهَا –لِلْمِزَاجِ مِن ... ثَلْجِ تَسْنِيمَ شِيبَتْ –عُقَارَا[٢]

أراد: كأن بريقتها عُقَارًا شِيبتْ للمزاجِ من ثلج تسنيمَ، يريد جبلا)[٣].

في هذا النص يحاول ابن قتيبة أن يعلل لتسمية هذا النوع من شراب الجنة (تسنيم) بهذا الاسم، فقد ذكر أنه أعلى شراب في الجنة، فهو يشبه سنام البعير الذي يعد أعلى منطقة فيه، فالجامع بينهما هو العلو، فَعُلُوُّ الشرابِ عُلُوُّ منزلة، وعُلُوُّ السنام عُلُوٌّ حِسِّيٌّ، ومنه تسنيم القبور، أي: تعليتها عن الأرض، وتسنيم الجبل: قمته، فتسمية الشراب: تسنيما جاءت على سبيل المجاز، بغرض المشابهة.

ومما يؤكد صحة هذا التعليل اتفاقه مع كثير من اللغويين والمفسرين، فها هو ذا ابن فارس يقول: (السِّينُ وَالنُّونُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى الْعُلُوِّ، وَالِارْتِفَاعِ. فَالسَّنَامُ مَعْرُوفٌ. وَتَسَنَّمْتُ: عَلَوْتُ. وَنَاقَةٌ سَنِمَةٌ: عَظِيمَةُ السَّنَامِ. وَأَسْنَمْتُ النَّارَ: أَعْلَيْتُ لَهَبَهَا)[٤] ويقول ابن دريد: (السَّنَم: مصدر سَنِمَ البعيرُ سَنَماً: إِذا عظم سَنامه عَن أبي عُبَيْدَة، وَمِنْه اشتقاق السَّنام. ومجد مسنَّم: عَظِيم. وكل شَيْء رفعته فقد سنَّمته، وَمِنْه اشتقاق تسنيم، وَهُوَ اسْم)[٥].

---

(١) المطففين/٢٧.

(٢) البيت في زاد المسير ٤/٤١٧.

(٣) تفسير غريب القرآن/٥٢.

(٤) المقاييس –س ن م–، وينظر البغوي ٥/٢٢٦، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٦٦، والبحر المحيط ١٠/٤٢٥.

(٥) الجمهرة ٢/٨٦١ (س م ن).

وهناك من رأى أن تسنيم الجنة علوه حسي، فقال: (سمِّي بذلك لأنّه يجري فوق الغُرَف والقصور، تجرى في الهواء تسنمة فتنصب في أوانيهم)[1] وهذا القول يجعل علة التسمية من باب الوصف. وأرى أن التعليل الأول المبني على الاستعارة أرجح؛ لقوة حجته.

السائح

(السَّائِحُونَ: الصائمون. وأصل السائح: الذاهب في الأَرض. ومنه يقال: ماء سَائِحٌ وسَيْحٌ: إذا جرى وذهب. والسائح في الأرض ممتنع من الشهوات. فشبه الصائم به. لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح)[2].

رادف ابن قتيبة بين السائح والصائم، ثم راح يعلل لتسمية الصائم سائحًا فقال: السائح في الأرض ممتنع من الشهوات. فشبه الصائم به؛ لإمساكه في صومه عن المطعم والمشرب والنكاح. فعلة التسمية المجاز، وعلاقته المشابهة، فالسائح ممتنع عن الشهوات، والصائم ممتنع عن الطعام والشراب.

ومما يدل على صحة ما ذكره ابن قتيبة ما ورد عن بعض علماء اللغة، ومنهم الزجاج الذي قال: (إنما قيل للصائم: سائح؛ لأنه الذي يسيح متعَبِّدًا، ولا زاد مَعَه، فحين يجد الزاد يطعَمُ، والصائم كذلك يَمْضِي النهار ولا يَطعَمُ شيئاً فلشبهه به سُمِّيَ: سَائِحاً)[3] وكذلك ما ورد عن الفراء حين قال: (قوله: سائِحاتٍ: هنّ الصائمات، قَالَ: ونرى أن الصائم إنَّما سمّي سائحًا؛ لأن

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٤٩/٣وغريب القرآن للسجستاني/١٥٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠١/٥ والصحاح (س ن م) والمحكم ٥٣١/٨ باب السين والنون مع الميم وتفسير البغوي ٢٢٦/٥والكشاف ٧٢٣/٤، وَأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢٦٩/٥.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ١٩٣، وينظر ص٤٧٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٩٤/٥.

السائح لا زاد معه، وإنما يأكل حيث يجد، فكأنه أخذ من ذلك)[١] وفي تفسير الثعلبي: (قال سفيان بن عيينة: أما إنّ الصائم سائح؛ لأنه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح. وقال الشاعر في الصوم:

تراه يصلي ليله ونهاره ... يظل كثير الذكر لله سائحا)[٢]

الصبر –الصوم

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ}[٣] (أي: بالصوم. في قول مجَاهِد رحمه الله. ويقال لشهر رمضان: شهرُ الصبر، وللصائم صابر. وإنما سُمِّي الصائم صابرًا؛ لأنه حبس نفسه عن الأكل والشرب. وكُلّ من حبس شيئًا فقد صَبَرَه. ومنه: المَصْبُورةُ، التي نُهِيَ عنها، وهي: البَهيمة تُجْعَلُ غَرَضًا وتُرْمَى حتى تقتل. وإنما قيل للصابر على المصيبة: صابر، لأنه حَبَسَ نفسه عن الجزع)[٤].

في هذا النص رادف ابن قتيبة بين الصبر والصوم، ثم راح يعلل لتسمية الصائم صابرًا فقال: وإنما سُمِّي الصائم صابرًا؛ لأنه حبس نفسه عن الأكل والشرب. وكُلّ من حبس شيئًا فقد صَبَرَه.

وعلى هذا فعلة التسمية هي المجاز الذي علاقته المشابهة(الاستعارة) حيث شبه الصائم بالصابر(الحابس للنفس) ثم حذف المشبه ورمز له بلازم من لوازمه وهو الاستعانة.

ويؤكد هذا الرأي ويدعمه ما ذكره الأصفهاني حيث قال: (أصل الصبر: الإمساك في ضيق، ومنه: دابة مصبورة، والصبرة من الطعام: للجمعة منه، وفي التعارف: إمساك النفس على ما يقتضيه العقل وعما يقتضيه، وذلك ضربان: صبر عن المشتهى: وهو العفة، وصبر على المكروه، وهو:

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٦٧/٣.

(٢) الكشف والبيان ٩٨/٥ وينظرالعين٢٧٣/٣، وَالمحكم ٤٢٤/٣، وأساس البلاغة (س ي ح)، وزاد المسير ٣٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/٨ والبيت من بحر الطويل.

(٣) البقرة/٤٥.

(٤) تفسير غريب القرآن/٤٧.

الشجاعة، وقيل الصبر: الصوم، لقوله عليه السلام: (صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر؛ يذهب كثيراً من وحر الصدر)، وتسميته بالصبر، لكونه بعضه، إذ هو إمساك الشهوة، ولهذا قال ﷺ: " الصوم نصف الصبر")[1] كما (قَالَ أَبُو عبيد: وَبَلغنِي عَن سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، أَنه فسر قَوْله: " كل عمل ابْن آدم لَهُ إِلَّا الصَّوْم فَإِنَّهُ لي وَأَنا أجزي بِهِ"[2].

قَالَ: لِأَن الصَّوْم هُوَ الصَبر، يصبر الْإِنْسَان عَن الْمطعم وَالْمشْرَب وَالنِّكَاح، ثُمَّ قَرَأَ {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ}[3] وبناء على ما ذكره الأصفهاني تكون علة التسمية من المجاز الذي علاقته الجزئية، استنادًا على قوله: " تسميته بالصبر، لكونه بعضه، إذ هو إمساك الشهوة".

الصمت والصوم

{نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}[4] (أي: صمتا. والصَّوم هو: الإمساك. ومنه قيل للواقف من الخيل: صَائِم)[5].

يرادف ابن قتيبة في هذا النص بين (الصوم) و(الصمت) وهو بهذا يرمز إلى المعنى الجامع لهما وهو الإمساك، فالصائم ممسك عن الطعام والشراب، والصامت ممسك عن الكلام، وعليه فالعلة سبيلها المجاز وعلاقته المشابهة.

ومما يدل على صحة هذا القول ما ورد عن ابن فارس حين قال: (الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِمْسَاكٍ وَرُكُودٍ فِي مَكَانٍ. مِنْ ذَلِكَ صَوْمُ الصَّائِمِ، هُوَ إِمْسَاكُهُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ مَا مُنِعَهُ. وَيَكُونُ الْإِمْسَاكُ عَنِ

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١٧٧/١ ولم أقف على مصدر للحديثين المذكورين.
(٢) الحديث في صحيح البخاري ١٦٤/٧ وصحيح ابن خزيمة ١٩٧/٣.
(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٣٢٦/١ والآية رقم/١٠ من سورة الزمر.
(٤) مريم/٢٦.
(٥) تفسير غريب القرآن ص٢٧٤.

الْكَلَامِ صَوْمًا، قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}، إِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ وَالصَّمْتِ. وَأَمَّا الرُّكُودُ، فَيُقَالُ لِلْقَائِمِ: صَائِمٌ، قَالَ النَّابِغَةُ:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا(١)

ويقول الخليل: (الصَّوْمُ: تَرْكُ الأكلِ، وتَرْكُ الكلام، وقوله تعالى:" إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً"، أي صَمتاً وقُرِئَ به)(٢).

صياصي

{مِنْ صَيَاصِيهِمْ} (٣) (أي: من حُصونهم. وأصل "الصَّياصي": قرونُ البقر؛ لأنها تمتنعُ بها وتدفعُ عن أنفسها. فقيل للحصون صياصي: لأنها تَمنع)(٤).

في هذا النص يشير ابن قتيبة إلى علة تسمية الحصون بالصياصي مع أن الكلمة في أصل وضعها لقرون البقر، فيشير إلى المعنى الجامع بينهما وهو المنع والدفع، فالقرون تمتنع بها، وترد أذى المعتدي، والحصون – كذلك – تمنع العدوان وترد المعتدين، ويعد ذلك من باب المجاز الذي علاقته المشابهة، حيث شبه الحصون في الاستقواء بها بالصياصي (قرون البقر) وحذف المشبه ورمز له بلازم من لوازمه وهو الإنزال؛ فالإنزال يكون من الحصون لا من قرون البقر. ويؤكد ذلك قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ} [الحشر /٢].

ويدل على صحة هذا التعليل ما ذكره الخليل حين قال: (الصِّيصِيةُ: ما كان حِصْناً لكلِّ شيءٍ مثلَ صِيصِيةِ الثَّور وهو قَرْنه، وصِيْصِيَةُ الديك كأنّها مِخلَب في ساقِه. وصِيصِيَة القوم: قلعَتُهم التي يتَحصَّنُون فيها كقِلاع اليهود

(١) مقاييس اللغة: (ص و م).
(٢) العين ١٧١/٧ والقراءة عزاها ابن خالويه لأنس بن مالك (مختصر الشواذ/٨٧).
(٣) الأحزاب/٢٦.
(٤) تفسير غريب القرآن/ ٣٤٩.

من قُرَيْظةَ حيثُ أنزَلَهم اللهُ من صَياصيهم. والصَّياصي: شَوْكُ النَّسّاجين، قال دُرَيْد:

.... **كوقع الصَّياصي في النَّسيج المُمَدَّدِ**)[1]

التَظَاهَرُ

(تَظَاهَرُونَ: تعاونون. والتَّظَاهُر: التعاون. ومنه قوله: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}[2] أي: تعاونا عليه. والله ظَهِير، أي: عَوْن.

وأصل التَّظَاهُر؛ من الظَّهْر. فكأنّ التَّظاهر: أن يجعل كُلُّ واحدٍ من الرجلين أو من القوم الآخَرَ له ظَهْرًا يَتَقَوَّى به ويَسْتَنِدُ إليه)[3].

في هذا النص يرادف ابن قتيبة بين (التظاهر) و(التعاون)، وهو بهذا يجاري الخليل الذي قال: (الظَّهيرُ: العَوْنُ، والمُظاهر: المُعاونُ، وهما يَتَظاهرانِ، أي: يَتَعاونان)[4].

ثم راح ابن قتيبة يعلل لتسمية التظاهر، فقال: أصل التَّظَاهُر من الظَّهْر. فكأنّ التَّظاهر: أن يجعل كُلُّ واحدٍ من الرجلين أو من القوم الآخَرَ له ظَهْرًا يَتَقَوَّى به ويَسْتَنِدُ إليه. فهو بهذا يرمز إلى أن هذا منشؤه المجاز الذي علاقته المشابهة، حيث شبه المتعاونين في أيِّ أمر من الأمور بمَنْ يتساندون بظهورهم في القتال ونحوه.

---

(١) العين ١٧٦/٧ وينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٨٤/٢، ومعاني القرآن وإعرابه/٢٢٣/٤، والكشف والبيان ٣١/٨، والكشاف ٥٣٣/٣، والمحرر الوجيز ٣٨٩/٤ وهذا الشطر عجز بيت من الطويل في ديوانه /٦٣و البيت:

غَدَاةَ دَعَانِي وَالرِّمَاحُ يَنُشْنَهُ ... كوقع الصَّياصي في النَّسيج المُمَدَّدِ

(٢) التحريم/٤.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٥٧.

(٤) العين ٣٧/٤، وينظر الجمهرة ٧٦٤/٢، وتفسير الراغب الأصفهاني ٢٥٠/١.

ومما يدل على صحة هذا التعليل أَنْ علل به جماعة من المفسرين، فقد ورد عن الطبري: (وإنما قيل للتعاون "التظاهر"، لتقوية بعضهم ظهر بعض. فهو "تفاعل" من "الظهر"، وهو مساندة بعضهم ظهره إلى ظهر بعض)[١] وبمثله قال الثعلبي، وابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي[٢].

النشوز-البغض

{وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ}[٣] (يعني: بغض المرأة للزوج. يقال: نَشَزَت المرأة على زوجها ونَشَصَت: إذا تَرَكته ولم تطمئن عنده. وأصل النشوز: الارتفاع)[٤].

يرادف ابن قتيبة في هذا النص بين (النشوز) و(البغض) ثم يرمز إلى أن تسمية البغض نشوزًا بقوله: وأصل النشوز: الارتفاع. فالمبغض بناءً على ذلك متعالٍ ومتجافٍ عن صاحبه، فهو من باب المجاز حيث استعير النشوز للبغض.

وفي هذا يقول ابن فارس: (النُّونُ وَالشِّينُ وَالزَّايُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَعُلُوٍّ. وَالنَّشَزُ: الْمَكَانُ الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ. وَالنَّشْزُ وَالنُّشُوزُ: الِارْتِفَاعُ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ فَقِيلَ نَشَزَتِ الْمَرْأَةُ: اسْتَصْعَبَتْ عَلَى بَعْلِهَا، وَكَذَلِكَ نَشَزَ بَعْلُهَا: جَفَاهَا وَضَرَبَهَا)[٥].

(١) تفسير الطبري-جامع البيان ٣٠٤/٢.
(٢) الكشف والبيان ٢٣٠/١، والمحرر الوجيز ١٧٥/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢، والبحر المحيط ٤٥٤/١، والدر المصون ٤٧٩/١.
(٣) النساء/٣٤.
(٤) تفسير غريب القرآن/١٢٦.
(٥) مقاييس اللغة (ن ش ز) وينظر الجمهرة ٨١١/٢(ز ش ن)، وديوان الأدب ١١٤/٢.

يقول الأزهري: (النشوز: كراهة أحد الزوجين معاشرة صاحبه، يقال نشزت المرأة، ونشصت. ونشز الرجل، ونشص، مأخوذ من النشز: وهو ما ارتفع من الأرض)[1].

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي/٢١١، وينظر التهذيب ٢٠٩/١١ (باب الشين والزاي مع النون)، والمصباح المنير (ن ش ز)، وجامع البيان للطبري ٤٧٥/٥، ٤٧٦ وغريب القرآن للسجستاني/٤٧٢.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أذن الله لهذا البحث المعنون بـ ﴿**تعليل التسمية في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة**﴾ أن ينتهي عند هذا الحد، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- يعد ابن قتيبة رائدًا من رواد اللغة والتفسير؛ لما له من نظرات ثاقبة، وآراء واثقة في هذا الكتاب، وفي غيره من كتب اللغة والغريب.
- أن اهتمام ابن قتيبة بفكرة الاشتقاق، وتعليل التسمية، يدل على رسوخ قدمه في فهم طبيعة اللغة، ومدى ارتباط اللفظ بالمعنى.
- أن تعليل التسمية يعد امتدادًا للقول بنشأة اللغة عن طريق المواضعة والاصطلاح، فالذين قالوا بالمواضعة رأوا أن الأسماء تعلل، في حين يرى القائلون بالتوقيف والإلهام أن الأسماء لا تعلل.
- أن تعليل التسمية يُعَدُّ من البحوث الأصيلة في فقه اللغة.
- إن دراسة هذا الموضوع والغوص في أسراره يبين لنا مدى ارتباط اللفظ بالمعنى، وكيفية العلاقة بينهما، فمعرفة علل التسمية لها أثر في وضوح العلاقة التي تجمع بين مشتقات اللفظ ومعانيه، ولو قيل بعدم التعليل لجاز لصاحب اللغة وضع أي لفظ بإزاء أي معنى.
- أن القول بتعليل التسمية فكرة قديمة وأصيلة في الفكر اللغوي عند العرب فقد قال بها الخليل، وابن دريد، وابن جني، وغيرهم من الرعيل الأول.
- كل الأسماء المشتقة لها علة لتسميتها، قد تكون واضحة جلية، وقد تكون خفية تحتاج إلى عمق فكر، ودقة نظر.
- أن اهتمام العلماء بهذا النوع من الدراسة يؤكد لنا أن الأسماء لم توضع جزافًا، وأن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست اعتباطية.

- أن تعليل التسمية يكشف لنا عن الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية عند العرب؛ ذلك أن إطلاق لفظ دون غيره على الشيء، واختيار صفة من صفاته، ما يدل على نظرتهم إلى الأشياء، واتجاههم في التفكير.
- أن تعليل التسمية يساعد على معرفة المعنى الذي اشتق منه الاسم، وكيفية تحقق هذا المعنى في المسمى، وكيفية ارتباطه بمسماه من أول الأمر.
- أن تعليل التسمية يقدم لنا الكلمات حَيَّةً متصلة بزمان مستعملها ومكانه اتصالًا يدرك من خلاله حقيقة تأويلها وصلتها بأصولها دون أن يحار الإنسان في التنقيب عنها في كتب اللغة التي عادة ما تسهب في شرحها؛ فيجد الباحث مشقة في الوصول إلى مراده.

وختامًا، أسأل الله العلي القدير أن يتقبل منا إنه هو السميع العليم، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن – لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ) – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- أساس البلاغة –لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) – تحقيق: محمد باسل عيون– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –الطبعة: الأولى١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، ت ٢٤٤هـ، تحقيق: محمد مرعب – الناشر: دار إحياء التراث العربي–الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.
- الأعلام –لخير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي –المتوفى: ١٣٩٦هـ – الناشر: دار العلم للملايين – الطبعة: الخامسة عشر – مايو ٢٠٠٢م.
- الألفاظ ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت– المتوفى: ٢٤٤هـ– تحقيق: د. فخر الدين قباوة– الناشر: مكتبة لبنان ناشرون–الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل(تفسير البيضاوي) لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي– المتوفى: ٦٨٥هـ– تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي– نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- البارع في اللغة–لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون –المتوفى: ٣٥٦هـ– تحقيق: هشام الطعان–نشر مكتبة النهضة بغداد – الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م.
- البحر المحيط في التفسير– لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي – ت:٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل–الناشر: دار الفكر – بيروت– الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس- لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)- لمجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية.
- تاج اللغة وصحاح العربية-لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري -المتوفى: ٣٩٣هـ- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول -لأبي الطيب محمد صديق خان -ت ١٣٠٧هـ)- نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر- ط١، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)- لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - المتوفى: ٣٣٣هـ-تحقيق: د. مجدي باسلوم- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان-الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)-لشهاب الدين أَحْمَد بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ -المتوفى: ٦٩١هـ- تحقيق: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، سنة النشر: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- تصحيح الفصيح وشرحه-لأبي محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه - المتوفى: ٣٤٧هـ- تحقيق: د. محمد بدوي المختون-الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة-١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تفسير الراغب الأصفهاني-لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى- المتوفى: ٥٠٢هـ-تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني وآخرين- الناشر للجزء الأول (سورة البقرة) : كلية الآداب - جامعة طنطا - ١٩٩٩م، الناشر للجزء الثاني (آل عمران وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء): دار الوطن - الرياض-٢٠٠٣ م الناشر للجزء الثالث: (من الآية ١١٤ من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة) كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى-٢٠٠١ م.

- تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق أحمد صقر – نشر: دار الكتب العلمية – ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م.
- تهذيب اللغة– لأبي منصور الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي –المتوفى: ٣٧٠هـ– تحقيق: محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط ١– ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر– نشر مؤسسة الرسالة–ط ١– ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) –لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)– تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش–الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) –لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر– الناشر: دار طوق النجاة –الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- جمهرة اللغة–لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)– تحقيق: رمزي منير بعلبكي–الناشر: دار العلم للملايين – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- الجيم –لأبي عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (المتوفى: ٢٠٦هـ)–تحقيق: إبراهيم الأبياري – الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة– ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤م.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني – تحقيق / محمد علي النجار – نشر/ المكتبة العلمية.

- درة الغواص في أوهام الخواص- لأبي محمد الحريري، -المتوفى: ٥١٦هـ- تحقيق: عرفات مطرجي-الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت-ط ١- ١٤١٨/١٩٩٨هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون- لأبي العباس، شهاب الدين، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)- تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط- الناشر: دار القلم، دمشق.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي – تحقيق الدكتور أنطونيوس بطرس – نشر دار صادر بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- ديوان الأخطل غياث بن غوث التغلبي – صنعه أبو سعيد السكري- تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة- نشر دار الفكر – دمشق سورية.
- ديوان الأدب- لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)- تحقيق: د. أحمد مختار عمر- طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة -٢٠٠٣ م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس – شرح وتعليق الدكتور محمد حسين – نشر مكتبة الآداب بالجماميز.
- ديوان جرير – نشر دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت سنة النشر ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي – صنعه الأستاذ عبد العزيز الميمني – نشر دار الكتب المصرية –القاهرة ١٣٧١هـ – ١٩٥١م.
- ديوان دريد بن الصمة – تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول – دار المعارف بمصر.
- ديوان ذي الرمة – اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي – نشر دار المعرفة – بيروت – لبنان.
- ديوان رؤبة بن العجاج (مجموع أشعار العرب) اعتنى بشرحه وتصحيحه وليم بن الورد البروسي- دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع – الكويت.

- ديوان السموأل (مجموعة شعرية تضم شعر عروة بن الورد والسموأل)- نشر دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- ديوان الشماخ بن ضرار – تحقيق صلاح الدين الهادي – دار المعارف بمصر.
- ديوان عبيد بن الأبرص – شرح أشرف أحمد عدرة – دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- ديوان عمرو بن كلثوم – جمعه وحققه وشرحه الدكتور إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية -١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- ديوان عنترة بن شداد العبسي – عني بتصحيحه أمين سعيد – المطبعة العربية بمصر.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري – دار صادر – بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني – شرح وتعليق الدكتور. حنا ناصر الحتي- دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- ديوان الهذليين – ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي – الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية – عام النشر: ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م.
- زاد المسير في علم التفسير- لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي- نشر دار الكتاب العربي- بيروت-ط ١- ٤٢٢هـ.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي -لأبي منصور الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ)- تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني-الناشر: دار الطلائع.
- الزاهر في معاني كلمات الناس- لأبي بكر الأنباري، محمد بن القاسم(ت ٣٢٨هـ) تحقيق حاتم صالح الضامن-الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت-ط ١، ١٤١٢ هـ.

- السبعة في القراءات،لأبي بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى التميمي، المتوفى: ٣٢٤هـ – تحقيق: شوقي ضيف – الناشر: دار المعارف – مصر–الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)– الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر– الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني، (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي– نشر دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى– المتوفى ٥٧٣هـ – تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله– الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)– الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ، وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكرياء (المتوفى: ٣٩٥هـ)– الناشر: محمد علي بيضون– طبعة أولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري– المتوفى: ٣١١هـ – تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي– الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.
- العشرات في غريب اللغة، لمحمد بن عبد الواحد، أبو عمر الزاهد المطرز المعروف بغلام ثعلب (المتوفى: ٣٤٥هـ)– تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر– الناشر: المطبعة الوطنية – عمان.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى١٧٠هـ)– تحقيق:

د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي – الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)- تحقيق عبد الكريم الغرباوي- الناشر: دار الفكر – دمشق- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى ٢٢٤هـ- تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان- الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.
- غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق: د. عبد الله الجبوري- الناشر: مطبعة العاني – بغداد- الطبعة الأولى، ١٣٩٧م.
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري (المتوفى : ٣٣٠هـ) تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة – سوريا- الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري – المتوفى: ٥٣٨هـ- تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: دار المعرفة – لبنان-الطبعة: الثانية.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير-لمحمد بن علي الشوكاني – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان- ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- الفرق، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (المتوفى: ٢٤٨هـ) – تحقيق: حاتم صالح الضامن – نشر مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، ١٩٨٦م.
- فقه اللغة وخصائص العربية للدكتور/ محمد المبارك – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية /١٩٦٤م.

- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (المتوفى: ٤٢٩هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي- الناشر: إحياء التراث العربي- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- القلب والإبدال (الكنز اللغوي في اللَسَن العربي) لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق – المتوفى: ٢٤٤هـ – تحقيق: أوغست هفنر- الناشر: مكتبة المتنبي – القاهرة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) تحقيق: محمد فواد سزگين- الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة- الطبعة: ١٣٨١هـ.
- مجالس ثعلب لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، المتوفى سنة ٢٩١هـ- شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون – النشرة الثانية- دار المعارف بمصر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي- المتوفى: ٥٤٢هـ- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي- المتوفى/ ٤٥٨هـ- تحقيق/ عبد الحميد هنداوي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه - الناشر: مكتبة المتنبي – القاهرة.
- المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي-المتوفى: ٤٥٨هـ - تحقيق/ خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – طبعة أولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- تحقيق: يوسف علي بديوي- الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: ٩١١هـ) - تحقيق فؤاد علي منصور- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)- الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)- لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي- المتوفى : ٥١٠هـ- تحقيق : عبد الرزاق المهدي- الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت-الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، المتوفى: ٣١١هـ - تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي- نشر/عالم الكتب- بيروت- طبعة أولى ١٩٨٨م.

- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)- تحقيق: محمد علي الصابوني- الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة- الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ- تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي- الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر- الطبعة الأولى.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»- لعادل نويهض- نشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان- الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)- لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي - المتوفى: ٦٠٦هـ -الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي - الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- المفضليات - للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (المتوفى: نحو ١٦٨هـ) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - الناشر: دار المعارف - القاهرة الطبعة: السادسة.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق/ عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المنتخب من غريب كلام العرب، لعلي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)-تحقيق: د محمد بن أحمد العمري- الناشر: جامعة أم القرى - الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- المُنَجَّد في اللغة ، لعلي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)- تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي- الناشر: عالم الكتب، القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٩٨٨ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير- المتوفى: ٦٠٦هـ- الناشر/المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
- نوادر المخطوطات- تأليف: عبد السلام محمد هارون – نشر: مصطفى البابي الحلبي الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)- تحقيق/ إحسان عباس-الناشر: دار صادر – بيروت.